الحركة العمالية في تونس

نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

(1924-1956)



سعد توفيق البزاز

جامعة الموصل/ كلية الاداب

قسم التاريخ



الحركة العمالية في تونس
(1956-1924)
نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

الحركة العمالية في تونس

(1924-1956)

نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

سعد توفيق عزيز عبدالله البزاز

جامعة الموصل/ كلية الاداب

قسم التاريخ

2009

الطبعة الأولى
1431هـ-2010م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2009/8/3390)

331.1
البزاز، سعد
الحركة العمالية في تونس 1924-1956: نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي /سعد توفيق البزاز.- عمان: دار زهران، 2009.
(   ) ص.
ر.أ : (2009/8/3390)
الواصفات: / العمل والعمال// تونس /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي

دار زهران للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5331289 – 6 – 962+، ص.ب 1170 عمان 11941 الأردن
E-mail : Zahran.publishers@gmail.com
www.darzahran.net

المقدمة

تعد دراسة الحركة العمالية في أي قطر عربي من الدراسات المهمة في مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لانه من خلالها، تتضح أبعاد الواقع الاقتصادي والاجتماعي ،وما يرتبط بذلك من واقع سياسي وعليه، فان البحث في الحركة العمالية في تونس، هو بحث عن حقيقة هذا التيار الاجتماعي - الاقتصادي الذي أدى دوراً فاعلاً في كشف الواقع التونسي في المجالات المختلفة،السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى النقابية ، ذلك أن بحث العمال عن حقوقهم المهنية والنقابية قاد الى طرح قضية الواقع الاقتصادي الوطني وما يترتب عليه من أبعاد سياسية واجتماعية .فلقد فرض الواقع السياسي الذي تمثل بالاحتلال الفرنسي لتونس، وضعية اقتصادية - اجتماعية -ثقافية ، تتلاءم وطبيعة هذا الاحتلال، حيث الرغبة الجامحة في الاستحواذ على كل شيء ،وتسخير كل شيء لخدمة الاستعمار الفرنسي منذ بداية الاحتلال عام 1881 وحتى الاستقلال عام 1956 .

وجاء رد الفعل الوطني من خلال حركته الوطنية ،وقيادتها المتمثلة بالحزب الحر الدستوري التونسي- القديم والجديد بعد الحرب العالمية الاولى(1914-1918) وبعد الحرب العالمية الثانية(1939-1945) وقد انضم الاتحاد العام التونسي للشغل الى الجهد الوطني التونسي لمقاومة المحتل ،فكان الدفاع عن الحقوق المهنية والنقابية يصب ويتناغم مع الدفاع عن الحقوق الوطنية العامة في الحرية والاستقلال. وعليه فقد شكلت الحركة العمالية وواجهتها النقابية ((الاتحاد العام التونسي للشغل)) تياراً اجتماعياً ذا أبعاد وطنية سياسية واقتصادية وثقافية أدت دوراً فاعلاً وكبيراً في النضال الوطني من أجل الحرية والاستقلال التونسي وفي النضال الاقليمي المغاربي والعربي والدولي ايضاً دفاعاً عن الحقوق والحريات النقابية والوطنية العامة.

وقد قسمت الدراسة الى أربعة فصول:

تناول الفصل الاول موضوع (الاحتلال الفرنسي وسياسته في تونس) استعرض تفاصيل الاحتلال الفرنسي لتونس و السياسة الفرنسية في المجالات الادارية ، والهجرة والتجنيس، والاقتصادية ،والاستيلاء على الاوقاف، ثم التعليم والصحة اذ كشفت السياسة الاستعمارية الفرنسية عن طبيعتها الاستحواذية وعن الحيف والظلم الذي وقع على الشعب التونسي طيلة زمن الاحتلال الذي عمل على محاولة تجريد الشعب من هويته العربية الاسلامية.

أما الفصل الثاني فقد تناول (ظهور الحركة العمالية التونسية بين الحربين وتطورها) حيث تم استعراض بدايات ظهور الحركة العمالية التونسية ومحاولة تأسيس تنظيم نقابي ومحاولة تأسيس تنظيم نقابي خاص بالعمال التونسيين بعيداً عن التنظيم النقابي العمالي الفرنسي الموالي للسياسة الفرنسية ،ومن خلال العديد من الشخصيات الوطنية التونسية ،وذلك للدفاع عن حقوق العمال التونسيين ،ثم الصراع النقابي التونسي-الفرنسي الذي جاء اثر محاولة الوطنيين التونسيين تشكيل تنظيم نقابي خاص بهم للدفاع عن حقوقهم ضد التمييز والتفرقة في المعاملة والاجور والضمان الاجتماعي وكل مايتعلق بحقوقهم المهنية والنقابية والحياتية ،وتناول اوضاع الحركة العمالية التونسية حتى عام 1945.

أما الفصل الثالث فقد تناول (الاتحاد العام التونسي للشغل1946-1956) من حيث الهيكل التنظيمي، فضلاً عن دوره الوطني ،ودوره الاقتصادي والاجتماعي فكان الدور الاقتصادي - الاجتماعي للاتحاد ومحاولته الدؤوبة والجادة وعبر مختلف وسائل النضال ،للدفاع عن الحقوق المهضومة والبحث عن أنجع السبل لتحسين أوضاع العمال وتحقيق مطاليبهم المهنية والوطنية وبشكل يوضح أن الاتحاد العام التونسي للشغل عد أحد أعمدة النضال الوطني من أجل الحرية والاستقلال التونسي.

أما الفصل الرابع فقد تناول (نشاطات الاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1956) على صعيد المغرب العربي وعلى الصعيد العربي ،وعلى الصعيد الدولي اذ ساند النضالات العمالية في كل من الجزائر والمغرب من منطلق وحدة العمل المهني والكفاحي ضد الاستعمار الفرنسي ووحدة العمل المشترك مع الحركة العمالية العربية والدولية في الدفاع عن الحقوق المهنية والوطنية .

وقد اعتمدت الدراسة على عدة مصادر منها:

1. الوثائق المنشورة:

اعتمد الباحث على الوثائق التي صدرت عن الارشيف الوطني التونسي والتي تخص الاتحاد العام التونسي للشغل ،فضلاً عن تقارير المؤتمر الوطني للاتحاد العام التونسي للشغل وكذلك تقرير المؤتمر الدولي الثالث للجامعة الدولية للنقابات الحرة.

2. الرسائل الجامعية:

اعتمد الباحث على عدد من الرسائل الجامعية التي خصت بالكلام موضوع الحركة العمالية التونسية وسيما رسالة (تطور الحركة الوطنية في تونس 1881-1956) لمحمد يوسف نحلة الذي وضح الكثير من الجوانب الوطنية وموقف الحركة الوطنية من الحركة العمالية، ورسالة (الحزب الحر الدستوري الجديد ودوره السياسي في تونس بين عامي 1922-1956) لقاسم زغير كاظم الذي وضح الدور الذي لعبته النقابة التونسية (الاتحاد العام التونسي للشغل)اذ بان الاستقلال ،ورسالة (أثر التحولات السياسية في البناء الاجتماعي في تونس) لمحمد عبد العزيز الجوادي الذي وضح الجوانب الاجتماعية للعمال قبل وبعد الاستقلال ،وعدد اخر من الرسائل الجامعية التي تخص موضوع الرسالة.

3. الكتب العربية والمعربة:

اعتمد الباحث على عدد من الكتب العربية والمعربة التي تطرقت الى موضوع الحركة العمالية التونسية ،وكان من ابرزها كتاب (الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956)وكتاب (تاريخ الحركة النقابية في تونس) للطاهر عبدالله وفيها معلومات وافية ودقيقة عن الاوضاع العامة في تونس وتطور المواقف الوطنية والعمالية خاصة من الاحتلال الفرنسي وسياسته ،فضلاً عن العديد من الكتب التي أرخت للاوضاع العامة في تونس وللحركة العمالية خاصة مثل كتاب صدقي اسماعيل (محمد علي القابسي مؤسس النقابات التونسية) اذ تحدث عن بدايات تشكيل الحركة العمالية وتطور الوعي النقابي ،فضلاً عن مجموعة من الدراسات عن الحركة العمالية والتنظيمات النقابية مثل كتاب (تطور الوعي القومي في المغرب العربي) ،فضلاً عن الكتب العامة عن المغرب العربي التي أرخت حول الموضوع وبدقة مثل كتاب أمحمد مالكي (الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي) وكتاب عبد الحميد براهيمي (المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية)، وغيرها من المصادر.

4. المجلات:

استعان الباحث بعدد من المقالات والبحوث المنشورة في المجلات العربية مثل مجلة المستقبل العربي ومجلة دراسات عربية ومجلة السياسة الدولية ومجلة الثقافة الجديدة والمجلة التاريخية المغربية ومجلة قضايا عربية ومجلة تاريخ العرب والعالم. فضلاً عن بحوث منشورة في مجلات أخرى.

5. الانترنيت:

استعان الباحث بعدد من المقالات والخطابات المنشورة على شبكة الانترنيت ،التي أسهمت في اغناء البحث بمعلومات حديثة عن الموضوع.

6. الكتب الاجنبية:

استعان الباحث بعدد من الكتب الاجنبية التي أسهمت في القاء الضوء على بعض تطـورات الحركة العمالية في تونس منهـا: Encyclopedie du Monde Actuel "les Arabes" ، و Raymond(A),La Tunisie- Que sais-je, presses universitaires de France.

الفصل الأول

أوضاع تونس الداخلية في ظل الاحتلال الفرنسي

أولاً: الاحتلال الفرنسي لتونس

ثانياً: سياسة فرنسا في تونس بعد الاحتلال

أ: السياسة الادارية

ب: الهجرة والتجنيس

ج: الاقتصادية

د: الاستيلاء على الأوقاف

هـ: التعليمية والثقافية العامة

و: الصحة العامة

الفصل الأول

أوضاع تونس الداخلية في ظل الاحتلال الفرنسي

أصبحت تونس تابعة للدولة العثمانية بعد فرض السيادة عليها منذ عام 1574، واستمرت تابعة للحكم العثماني بشكل مباشر حتى مطلع القرن الثامن عشر حيث أسس الحكم المحلي منذ عام 1705 بقيام النظام الحسيني الذي استمر حتى عام 1956، اذ حكمت البلاد بشكل شبه مستقل عن الدولة العثمانية من خلال بايات الاسرة الحسينية حيث عاشت البلاد مرحلة من التقدم الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي ولاسيما في أواخر القرن الثامن عشر وحتى مطلع القرن التاسع عشر[1].

اذ بدأ في تونس منذ عام 1815 استقرار فرنسا وأوربا بعد الحرب النابليونية وحتى فرض الحماية- الاحتلال -الفرنسية على تونس عام 1881 فقد عانت البلاد من ظروف سياسية واقتصادية داخلية وخارجية، قادت الى تدخلات أجنبية فرنسية ولاسيما في الوضع السياسي والاقتصادي خاصة [2]، وفي الوقت نفسه كانت فرنسا قد سيطرت على الجزائر العاصمة الساحلية منذ عام 1830، وأخذت توسع نفوذها وتقضي على الثورات الوطنية المسلحة التي قامت ضدها (عبد القادر- المقراني وغيرها)وكانت تتطلع لاحتلال تونس.

أولاً:الاحتلال الفرنسي لتونس:

أخذت فرنسا بعد احتلال الجزائر عام 1830، تخطط وتعمل من أجل احتلال تونس لتأسيس (امبراطورية فرنسية) في المغرب العربي، وفي الوقت نفسه كانت تونس قد وصلت الى حالة من الضعف العام بسبب التدخلات الاجنبية واستيطان اعداد كبيرة من

(1) محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس، سراس للنشر،(تونس، 1993)، ص81-95.
(2) الشريف، المصدر نفسه، ص96-99.

الجالية الاوربية (الفرنسية والايطالية خاصة)، وسيطرتها على مرافق الدولـة الاقتصـادية والاجتماعيـة. وكانت فرنسا من أكثر الدول التي سبقت الى زيادة نفوذها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في تـونس، اذ تنامت مصالحها الاقتصادية والثقافية بحصولها على العديد من الامتيازات[1].و رأت فرنسا في تونس ميداناً للتنفيس عن أزماتها الداخلية للبحث عن الاسواق والاستحواذ على الخيرات لتطمـئن تطلعاتهـا الاستعمارية، فكانت بحاجة الى مستعمرات، كما كانت بحاجـة الى قواعـد بحريـة لاسـطولها يمكـن أن تجدها في تونس[2].ولتحقيق غايتها كانت تنتهـز الفـرص للتـدخل في شـؤون تـونس الداخليـة، ووضـع العراقيل في سبيل عدم قيام أية نهضة ناهيك عـن اسـتمرار منافسـتها للاطـماع والتغلغـل الايطـالي في تونس[3].

ومنذ القرن التاسع عشر ازداد تسرب الجاليات الاجنبية الى تـونس وشرع البايـات في اسـتقدام الخبراء الاجانب واعطائهم بعض الامتيازات للمشروعات الخدميـة مثـل توسـيع مينـاء تـونس وانشـاء سكك حديد واقامة خطوط تلغراف، مما حمل القناصـل الفرنسـيين عـلى التـدخل لحمايـة مصـالحهم، والتأثير في البلاط للاستدانة وأخذ القروض من اوربا، وفرنسا

(1) محمد علي داهش، في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدويـة في المغـرب العـربي، اتحـاد الكتـاب العـرب،(دمشـق، 2004)، ص41؛ وعبد الجليل التميمي، المسألة التونسية والسياسـة العثمانيـة (1881- 1913)، دار الكتـب الشرقـية، (تونس،1973)، ص217.

(2) حسن العطار، الوطن العربي دراسة مركزة لتطوراته السياسية الحديثة، مطبعة أسعد،(بغداد،1966)، ص135.

(3) لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، دار التقدم،(موسكو،1971)، ص337.

خاصة، ونتيجة لذلك بدأ التدخل الفعلي في شؤون البلاد، لحماية مصالحها وامتيازاتها وأموالها[1].

أدت هذه الحالة بالدولة التونسية الى فرض ضرائب ثقيلة على الشعب ونتج عن هذا التصرف قيام ثورة بزعامة علي بن غذاهم سنة 1864[2].وأمام تحرج الحالة الداخلية وخاصة المالية وتحت الضغط الدولي، سلمت الدولة مصلحة الكمارك للاجانب مقابل ماقترضته من أموال، فتشكلت لجنة مالية دولية تحت رئاسة خير الدين باشا التونسي 1870[3]، وكانت الديون تبلغ (25) مليون فرنك، ثم أصبحت هذه اللجنة ميداناً للتنافس بين ايطاليا وفرنسا وبريطانيا، مما حدا بفرنسا الى محاولة وضع يدها على تونس.وكان المحفز لها مؤتمر برلين الذي انعقد في الثالث عشر من حزيران 1878، وكان كالضوء الاخضر الذي أعطته الدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا والمانيا، لفرنسا لاحتلال تونس[4]. فتخلت

(1) الحبيب ثامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة،(القاهرة،1948)، ص22.

(2) الشريف سلامة، ثورة ابن غذاهم، وثائق تونسية، الجزء الاول، الدار التونسية للنشر،(تونس، د.ت)، ص26.

(3)خير الدين التونسي، هو أحد المصلحين التونسيين الذين شهدت لهم تونس، في مجال التعليم والجيش والاقتصاد. تقلد عدة مناصب فأصبح أمير لواء الخيالة ثم أصبح وزيراً للحربية سنة 1856م، ثم رئيس مجلس الشورى سنة 1860م، ثم وزيراً في عام 1873-1877تم اعفاؤه وسافر الى الاستانة سنة 1878م وتوفي فيها . للمزيد أنظر: أحمد أمين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية،(القاهرة، 1965)، ص146-183؛ أبو القاسم محمود كرو، خير الدين التونسي، ب.م، (تونس، 1958)، ص19.

(4) صلاح العقاد، المغرب العربي الجزائر –تونس-المغرب الاقصى، مكتبة الانجلو المصرية،(القاهرة،1969)، ص189.

بريطانيا عن أطماعها في تونس مقابل اعتراف فرنسا بسيطرتها على جزيرة قبرص، وقد صرح بذلك وزير خارجية بريطانيا اللورد سالسبوري لنظيره الفرنسي دانقتون بقوله: ((احتلوا تونس ان شئتم، فانكلترا لاتمانع في ذلك بل تحترم قراراتكم)).فيما كان الدعم الالماني لفرنسا عندما أيد المستشار الالماني بسمارك المقترح البريطاني[1] رامياً من وراء ذلك منح التعويضات لفرنسا بهدف صرف أنظارها عن فكرة الاخذ بالثأر لحرب السبعين[2]. ومن جانب آخر فان ايطاليا ماكانت لتتخلى عن أطماعها في احتلال تونس، الا أنها لم تتلق دعماً فعلياً من أحد، اذ عارضت بريطانيا تدخل ايطاليا في تونس، لانها تمكنهم من مراقبة حوضي مضيق صقلية وتمكنهم في النهاية من قطع طريق الهند(درة التاج البريطاني) الذي أصبح يمر بالبحر المتوسط منذ فتح قناة السويس عام 1869[3]، وبالرغم من تأييد المانيا لفرنسا لاحتلال تونس الا أن الرأي العام الفرنسي وعدداً كبيراً من السياسيين الفرنسيين، عدو تأييد بسمارك للتدخل الفرنسي في الشؤون التونسية مناورة يقصد بها تعكير العلاقات

---

(1) علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب عمر بن ضو و حليمة فرفوري، سراس للنشر،(تونس،1986)، ص35.

(2) حيث وقعت حرب بين فرنسا والمانيا، خسرت بموجبها فرنسا مقاطعتي الالزاس واللورين عام 1870 وضمت الى المانيا.

(3) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الكتب العربية الشرقية، (تونس، بلا)، ص71؛ نيقولا زيادة، تونس في عهد الحماية 1881-1934، معهد الدراسات العربية، دار الرائد للطباعة،(القاهرة،1963)، ص123؛ احمد عبد الوهاب عبد الرحمن، تاريخ العرب الحديث (1798- 1920) دراسة في التنافس الاوربي على البلاد العربية، دار القلم، (الامارات،1987)، ص287- 303؛العطار، مصدر سابق، ص138.

الفرنسية وبالذات مع ايطاليا وعزل فرنسا على الصعيد الاوربي[1].الا أن فرنسا وافقت على مقررات مؤتمر برلين لان ذلك سيؤدي الى اعادة التوازن في البحر المتوسط، ويمكنها من الحصول على موارد جديدة وثروة وميدان لنشاطها الاستعماري في تونس تجدها في الراين الذي كان يدفعها صوب المانيا التي يتزايد عدد السكان فيها بسرعة[2]، كما أن ذلك يطمئن تطلعاتها الاستعمارية في المغرب العربي منذ احتلال الجزائر[3].

اتخذت فرنسا من انتقال بعض القبائل التونسية (خمير) عبر الحدود الجزائرية ذريعة للغزو، بحجة مساندتها للثوار الجزائريين[4]، وقام الفرنسيون بتحريض الجالية الفرنسية داخل تونس على رفع عريضة في الرابع عشر من اذار/1881 الى الحكومة الفرنسية، تطالب فيها بتدخل فرنسا السريع لضمان حقوق الرعايا الفرنسيين وأموالهم[5].وعليه فقد عبرت القوات الفرنسية في الرابع والعشرين من نيسان/1881 من دون سابق انذار الحدود

(1) اذ تحدث لوتسكي عن مطامع فرنسا وايطاليا في تونس، و ان أي تدخل من جانب فرنسا في تونس ربما يؤدي الى قيام الحرب بينهما، لوجود مصالح ايطالية مهمة في تونس لاتقل أهمية عن المصالح الفرنسية، كما سنلاحظ في الفصل القادم، أنظر لوتسكي، مصدر سابق، ص 330 .

(2) العقاد، مصدر سابق، ص 195.

(3) صالح الدربدي، المسيرى الكبرى، دار بو سلامة للطباعة والنشر، (تونس، د.ت)، ص49.

(4) داهش، مصدر سابق، ص41.

(5) محمد يوسف نحلة تطور الحركة الوطنية في تونس 1881-1956"، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية،(بغداد، 1981)، ص48 ؛امين سعيد، الوطن العربي، دار الهلال،(د.ت)، ص20.

الجزائرية -التونسية [1]، وكان تعدادها(35) الف جندي، وقسمت الى ثلاث اقسام كل منها تحت قيادة ضابط فرنسي، وجميعها تحت قيادة الضابط فورجيمول [2]، فاتجه القسم الاول الى الشمال الغربي لمحاصرة جبال خمير وما حولها، أما القسم الثاني فقد اتجه نحو مدينة الكاف ودخلها بدون مقاومة نتيجة لما قام به برنارد روي[3].

وفي الوقت نفسه قصف الاسطول الفرنسي بلدة طبرقة وتمكن من احتلالها، وقام الباي محمد الصادق بجهوده في الاحتجاج لدى الدول الموقعة على (معاهدة برلين) وطلب

(1) علي سلطان، تاريخ العرب الحديث1516-1918، منشورات مكتبة طرابلس العالمية،(طرابلس، د.ت)، ص553؛ صلاح الدين التلالي، تونس الجديدة مشاكل ونظريات، عربه محمد السويس، دار النشر بو سلامة،(تونس، 1959)، ص50-51؛ وعبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع،(بيروت،1984)، ص187؛ زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(بيروت،1975)، ص 523.

(2) أحمد عزت عبد الكريم وآخرون، العالم العربي في العصر الحديث، طبع ونشر دار سعد، (القاهرة، د.ت) ص87.؛ زيادة، مصدر السابق، ص132؛ نحلة، مصدر سابق، ص48.

(3) برنارد روي:هو أحد أعضاء القنصلية الفرنسية ورئيس مركز البريد هناك، قام بجهود لحث رجال الطرق الصوفية وأصحاب النفوذ بعدم مقاومة القوات الفرنسية، لكن هناك مصادر تشير الى حدوث قتال، وعلى العموم حتى لو كانت مقاومة فهي ضعيفة بدرت من طائفة من رجال القبائل. للمزيد انظر: عبد المجيد المطوي، تونس وفرنسا، مكتبة النجاح،(تونس، 1957)، ص45؛ البشير الحاج أبن عثمان الشريف، أضواء على تاريخ تونس الحديث 1881-1924، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع،(تونس، ب.ت)، ص15؛ نحلة، المصدر السابق، ص 49؛ المحجوبي، مصدر سابق، ص13.

منها التدخل لوقف الاحتلال [1]، اذ قام الباي بتكليف أخيه علي بقيادة جيش لصد القوة الغازية، لكنه لم يستطع صدها ولا منعها من التقدم، وكان الباي يأمل في تدخل الدول الاوربية الى جانبه (لكن لم يجبه أحد).وكان يأمل في ان يفي الباب العالي بوعده بارسال الاسطول العثماني، لكن آماله باءت بالفشل[2].

كان الفرنسيون يعتقدون أن أعمال الحملة في منطقة الحدود مع الجزائر ستكفي لاخافة الباي، لكنهم أحسوا أن الباي لايوافق على الحماية، فأرسلت فرنسا حملة أخرى أبحرت من ميناء طولون بقيادة الجنرال بريار ووصلت بنزرت في الاول من ايار **1881**[3]، واحتلت المدينة وزحفت باتجاه العاصمة تونس حتى وصلتها في الثاني عشر من ايار **1881**[4]، حيث اجتمع القنصل الفرنسي روستان مع الجنرال بريار، وسلموا للباي محمد الصادق نسختين من معاهدة كانت معدة سابقاً عرفت لاحقاً بمعاهدة (باردو)[5] أو القصر السعيد، وأعطوه فترة قصيرة للتشاور والتوقيع عليها، حيث تم ذلك في اليوم نفسه[6]،

---

(1) محمد المرزوقي، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، (تونس،1973)ص36 .
(2) الشريف، مصدر سابق، ص16.
(3) بشير بو علي، محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، د.م، (د.ت)ص18.
(4) يحيى أبو زكريا، الحركة الاسلامية في تونس من الثعالبي الى الغنوشي،www.Ikhwan. net ،2004/10/5.
(5) (باردو): مدينة على بعد 4كم عن تونس كان فيها سراي الباي.
(6) شذى عذرة، معاهدة باردوبين فرنسا وتونس الثاني عشر من ايار 1881، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية، العدد 101-102،(بيروت،1987)ص 56؛ أحمد أبن عامر، تونس عبر التاريخ منذ أقدم العصور الى اعلان الجمهورية، مكتبة النجاح، (تونس،1960)،ص300؛ محمد أسعد

وهكذا خضعت تونس للاحتلال الفرنسي- وتبعها في عام 1883 نص معاهدة أخرى اعتبرت مكملة لمعاهدة باردو عرفت بمعاهدة(المرسى الكبير) وكان هدفها اعطاء صلاحيات أكبر لفرنسا، بمعنى تكريس احتلالها لتونس[1]، وعليه فقد بدأت فرنسا تؤكد سيادتها وسياستها الاحتلالية في تونس، وفي المجالات كافة وطوال زمن الاحتلال.

ثانياً:سياسة فرنسا في تونس بعد الاحتلال:

أ:السياسية والادارية

بعد فرض الاحتلال الفرنسي أصبحت الحكومة التونسية (الباي ورجال السلطة العليا) مجرد واجهة شكلية للحكم الوطني، وأصبح المقيم العام الفرنسي ومساعدوه هو الحاكم الفعلي للبلاد وفي المجالات كافة.و تولى منصب الاقامة العامة الفرنسية القنصل روستان ثم خلفه الجنرال بول كامبون، وكان من اختصاصات المقيم العام حتى بعد توقيع معاهدتي باردو والمرسى الكبير، التوجيه والارشاد في ادارة البلاد الداخلية، لكن الامر اختلف بعد ذلك اذ أصبح المقيم العام هو صاحب الكلمة الاولى في تونس، ولم تكتف الحكومة الفرنسية بذلك بل أصدرت مرسوماً في عام 1884 يوسع من اختصاصات المقيم العام، ويعين مدراء في الوزارات التونسية كخبراء أو مستشارين، لكن معظم الوزارات الغيت ولم يبق سوى منصب رئيس الوزراء و وزير القلم[2].وقد استمرت الوزارات على

طلس،عصر الانبعاث، دار الاندلس،بيروت، 1963،ص90؛ وأنظر: نص معاهدة باردو، ملحق(1).

(1) شذى عذرة معاهدة المرسى بين فرنسا وتونس 8 تموز 1883، مجلة تاريخ العرب والعالم،دار النشر العربية،العدد 103-104، (بيروت،1987)، ص23؛ أنظر: نص معاهدة المرسى، ملحق (2).

(2) العقاد،مصدر سابق، ص211.

هذه الحالة حتى بداية القرن العشرين ففي عام 1921 استحدث منصب ثالث وهو وزير العدل، أما الدوائر الاخرى كالمالية والمعارف والصحة والاشغال العامة فيتولاها مدراء فرنسيون لهم الحق في اصدار الاوامر الوزارية.وينضم الى مجلس المقيم العام قائد الجيش البري، ثم أضيف اليه قائد قاعدة بنزرت البحرية الذي اصبح كوزير الدفاع، بعد أن صارت تلك القاعدة من أكبر القواعد البحرية في المغرب العربي[1].

وهناك منصب سكرتير الاقامة وهو حلقة الاتصال بين الوزراء التونسيين والمدراء الفرنسيين، وبصيغة أخرى كان هو المسؤول عن تسيير شؤون الوزارات التي بقيت بيد التونسيين [2].وتتولى حكومة الجمهورية الفرنسية اصدار المراسيم التشريعية للجالية الفرنسية حسب مرسوم عام 1883، وهذا هو أساس المبدأ الذي تمسك به المستوطنون الفرنسيون، وسموه فيما بعد بالسيادة المزدوجة Co souverainle [3].أما من حيث التشريع فقد لعب الفرنسيون، دور المشرع في القوانين والتشريعات التونسية، واستأثروا بها لتدعيم سياستهم وتقوية شوكة مواطنيهم، فعمدوا الى تجميع السلطات المملوكة للمحاكم القنصلية بين يدي المحكمة الفرنسية، والقنصليات المتفرعة عنها، بمقتضى القانون الفرنسي المؤرخ في السابع والعشرين من اذار/1883 والنافذ المفعول في الثامن عشر من نيسان/ 1883[4].اما الباي فكانت سلطته اسمية، لكن الفرنسيين ادعوا بأن للباي حق التشريع

---

(1) محمد الفكياني، بنزرت،مجلة تاريخ العرب والعالم،العدد (39)، السنة الرابعة،دار النشر العربية،(بيروت، 1982)،ص94.
(2) العقاد،مصدر سابق، ص212.
(3) ثامر، مصدر سابق،ص37.
(4) محمد منصور، تأثير الحركة الوطنية على تطور التشريع التونسي، مجلة المؤرخ العربي،العدد الاول، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب(بغداد،،1975)،ص173.

وهو صاحب السلطة المطلقة فيه، وبالتالي له حق تفويضها لمن يشاء، وبموجب معاهدة المـرسى، فقـد فوض الباي المقيم العام الفرنسي حق تشريعها، ولذلك فهو يشرع المراسـيم ثـم يصـدرها بعـد توقيـع الباي عليها.وقد وجد الاحتلال الفرنسي في أول عهده منذ عهد علي بـاي (1882-1901) منفـذاً طليقـاً لسياستها[1].

وقسمت تونس الى (19) قيادة، وألحق بكل واحدة قائـد عسـكري، ومشرـف مـدني فرنسيـ في حـين تولـت السـلطات العسـكرية ادارة المنـاطق الجنوبيـة بصـورة مبـاشرة، الى أن هـدأت المقاومـة التونسية التي بدأتها القبائل العربية، فقسمت هي الاخرى الى قيادات مدنية سنة 1894[2].

أما عن وظائف الدولة، فقد تغلغل الفرنسيون في أصغر الوظائف غير مـراعين اخـتلاف طبيعـة نظام الحماية عن المستعمرة [3]، حيث جعلت الحكومة الفرنسية جميع

(1) حول تنظيمات فرنسا الداخلية في تونس انظر:الوثيقة رقم -1-، من كتاب النازلة التونسية، لمحمـد السـنوسي،تحقيق محمد الصـادق بسـيس، الـدار التونسـية للنشرـ (تـونس،1976)،ص271-278 ؛ أمحمـد مـالكي، الحركـات الوطنيـة والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1993)،ص224.

(2) محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العرب،نشر الشركة التونسية للتوزيع،(تونس، ب.ت)، ص148؛وأنظـر الوثيقـة التي تشرح الاوضاع الادارية وأوضاع تنظيم الحماية في تقرير المسـيو ريبـو وزيـر خارجيـة فرنسـا، السنوسي،مصـدر سابق،ص271.

(3) بموجب معاهدة باردو اعتبرت فرنسا تونس واقعة تحت حمايتها لكن الاجراءات التي اتبعتها فرنسا وعاملت تـونس على أساسها تدل على أنها مستعمرة من خلال تغلغل الموظفين الفرنسيين بأصغر الوظائف التونسية وكان ذلك بعد توقيع معاهدة المرسى الكبير عام 1883، انظر: منصور،مصدر سابقن174.

الوظائف ذات الاهمية في الادارة بيد الفرنسيين وشجعت الفرنسيين عن طريق منحهم علاوات مختلفة (سكنية وتعليمية وصحية وتعويضات سفر الخ..) والموظف الفرنسي العامل في تونس كانت له (ثلاثة واربعون) صنفاً من العلاوات التي تبلغ 75% من ميزانية الدولة التونسية[1].

ان الحماية الفرنسية حالت دون مشاركة التونسيين في أي نشاط سياسي واداري والمظهر الوحيد لاشراك التونسيين في الحياة العامة يتمثل في قيام المجالس البلدية في المدن بقاعدة مناصفة المقاعد بين الجالية الاوربية والتونسيين.وفي عام 1896 أسس مجلس شورى يؤخذ رأيه في سبيل الاستشارة في سياسة البلاد الاقتصادية وظل هذا المجلس مقتصراً على المستوطنين فيختارون ممثليهم من بين اعضاء الغرف التجارية والصناعية واعضاء المجالس البلدية، وحين سمح للتونسيين بدخول هذه المجالس للمرة الاولى سنة 1907 جعل تمثيلهم بالتعيين فيختار المقيم العام (16) من أهل البلاد [2]، وعلى الرغم من كونهم أقلية في المجلس فقد لوحظ ارتفاع أصوات المعارضة في وجه الممثلين الاوربيين لذلك تقرر جعل هذا المجلس قسمين يجتمع كل منهما على حدة وظل الفصل بين الاعضاء التونسيين والاوربيين هو القاعدة التي سارت عليها المجالس البلدية والتشريعية في تونس[3]، واستمر هذا الوضع قائماً الى أن ظهر ضغط الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية

(1) دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، العالم الاسلامي من اقليم المسلمين تونس، شبكة الامام الرضا عليه السلام،www.imamreza.net،ص21.
(2) جلال يحي،المغرب الكبير،الدار القومية للطباعة والنشر،(القاهرة،1966)،ص329.
(3) يحيى،المصدر نفسه،ص246.

الاولى (1914-1918) فأدخلت بعض التعديلات على هذه المجالس لكنها كانت بعيدة عـن الاسـتجابة للرغبات الوطنية[1].

ب: الهجرة والتجنيس:

شجعت فرنسا منذ بداية احتلالها لتونس، مواطنيها على الهجرة الى تونس بعد أن وضعت أمام أعينهم كل المغريات المادية، ولما كانت ايطاليا أقرب الى تونس فقد تعرضت الـبلاد للهجـرة الجماعيـة من كلا البلدين، ناهيك عن هجرة أعداد كبيرة من المالطيين.وقد استمرت الهجرة والاستيطان الاجنبي والفرنسي والايطالي خاصة طوال سنوات الاحتلال.ويوضح الجدول ذو الرقم -1- أعداد المهاجرين مـن فرنسا وايطاليا ومالطا[2].

السنة	فرنسيون	ايطاليون	مالطيون
1881	700	11200	7000
1886	3500	16750	9000
1891	10000	31000	11700
1896	16000	55000	10200
1901	24000	71000	12000
1906	34600	81156	10000
1911	46000	88082	11300
1921	54447	84819	-----
1926	71020	89215	8395

(3)

(1) يحيى،المصدر نفسه، ص246-247.

(2) زاهر رياض،استعمار أفريقيا،الدار القومية للطباعة وللنشر،(القاهرة 1965)،ص246؛ العقاد، مصدر سابق، ص214.

(3) العقاد، مصدر سابق،ص212.

وبعد عام 1926 تزايدت أعداد المهاجرين من فرنسا وايطاليا خاصة، حتى وصلت الى (160) ألف مستوطن فرنسي و(89220) ألف مستوطن ايطالي [1]. كان التوسع في سياسة الهجرة الاوربية شديد الخطورة على تونس نظراً لقلة كثافة السكان، فلم يزد التونسيون منذ بداية الاحتلال وحتى قبل الحرب العالمية الاولى عام 1914 عن مليون ونصف[2].

قام الاوربيون بالاستيلاء على قسم كبير من الاراضي الزراعية وقد حال ذلك دون تقدم التونسيين المادي وحتى عهد قريب اذ كانت تتكرر المجاعات بصورة منتظمة، وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى[3]. ولم يكتف المستوطنون الفرنسيون بالاستيطان والاستيلاء على الارض بوجودهم فيها بل نافسوا التونسيين في الوظائف حيث بلغ عدد الموظفين الفرنسيين (60) ألفاً في حين لايزيد عدد التونسيين على الخمسة الاف، الى جانب هؤلاء كان يوجد الايطاليون والمالطيون الذين تزايدوا تدريجياً (كما وضح في جدول-1-) مما أثر سلباً في حالة الاقتصاد التونسي وعرض البلاد للازمات الاقتصادية[4].أضف الى ذلك محاولة جعل تونس فرنسية من خلال (قانون التجنيس).

أصدرت فرنسا في عام 1865 قانوناً يبيح لكل تونسي مسلم أن يتمتع بحقوق المواطن الفرنسي اذا تقدم بطلب ذلك، وفي هذه الحالة يصبح خاضعاً للقانون المدني

(1) رياض،مصدر سابق،ص247.

(2) سمير أمين، المغرب العربي الحديث، ترجمة كميل قيصر داغر، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت،1981)،ص22.

(3) علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية،(تونس 1986)،ص45.

(4) المحجوبي، مصدر سابق، ص45-47.

الفرنسي في جميع أحكامه.ومعنى ذلك أن التونسي اذا أراد أن يباشر حقوقه السياسية فعليه أن يتنازل عن القواعد والحقوق التي جاء بها الاسلام وجرى بها الشرع والعرف بين المسلمين في جميع الانحاء على اختلاف العصور [1]، ومنذ عام 1897 أعطت فرنسا تسهيلات كبيرة في منح الجنسية الفرنسية حيث تمكن الاقامة في تونس للاجانب مدة (3) سنوات بعدها يمنح حق التجنس بالجنسية الفرنسية، ثم حاولت الحكومة الفرنسية اصلاح هذا القانون في سنة 1919 فاشترطت للتمتع بحقوق المواطن الفرنسي أن يكون التونسي عزباً أو متزوجاً من واحدة فقط كما اشترطت الا يقل العمرعن (25) سنة، وأن يكون قد أدى الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، وأن يكون ملماً بالقراءة والكتابة باللغة الفرنسية، أو موظفاً عاملاً في الحكومة أو بالمعاش[2].

أصدرت فرنسا في حزيران عام 1898 القانون القاضي بأن الفرنسية التي تتزوج من أجنبي لاتتبع جنسية زوجها الا اذا كانت قوانين الدولة التي ينتمي اليها الزوج تنسب اليها جنسيته، علماً بأن تونس ليس في وسعها اصدار قانون سحب جنسية الزوجة الفرنسية المتزوجة من تونسي [3].

وفي عام 1921 سحبت الجنسية التونسية وومنحت بدلاً منها الفرنسية للاجانب الذين ولد أجدادهم بتونس عدا الايطاليين الذين أبقيت لهم امتيازات قانونية خاصة،

(1) محمد رفعت، في أفق السياسة العالمية مشكلة فرنسا في افريقيا الشمالية، مجلة الكاتب المصري، العدد 8، المجلد2،(القاهرة،1946)،ص578.
(2) رفعت،مصدر سابق،ص578.
(3) عفيف البوني، وعي الهوية العربية في الفكر التونسي الحديث،منشورات العالم العربي،(باريس،بلا)،ص83.

ومثل هذه الاجراءات قصد بها الاستلاب والتغريب المفروضة على الشعب التونسي[1]، وفي العشرين من كانون الاول/ 1923 صدر في تونس قانون بفتح التجنيس لكل من يبعث طلباً يظهر فيه عواطف فرنسية، واعداً اياهم بالتمتع بالامتيازات التي يتمتع بها الفرنسيون[2]، وحاولت فرنسا تجنيس التونسيين بصورة جماعية فضلاً عن تجنيس الجاليات الاوربية الموجودة في تونس[3].وكان المقصود من اعلان القانون وتنفيذه الاجهاز على الوطنية والشخصية العربية الاسلامية لتونس بشكل قانوني، لاتمام عملية الدمج والالحاق المفروض بالقوة.

ولما تعذر على فرنسا تطبيق مبدأ ((الفرنسة))بحذافيره اضطرت أمام ضخامة المشروع أن تعمد الى سياسة أخرى أقل عمقاً من سياسة التجنيس والادماج وهي سياسة المشاركة، ولا تتطلب هذه السياسة أن يتنازل التونسي عن قانون أحواله الشخصية لكي يصبح مواطناً فرنسياً، بل تركت له أن يجمع بين الميزتين وقد أرادت فرنسا بهذا النظام أن تجتذب الصفوة الممتازة من الاهالي فتحملهم على ((التفرنس)) وتترك سواد الشعب يتقدم على مهل، مع العمل على اعمام اللغة الفرنسية وتحسين مستوى الشعب الاجتماعي بقدر ما تسمح به الظروف[4].

(1) البوني،المصدر نفسه،ص83.

(2) خيرية عبد الصاحب وادي، الفكر القومي العربي في المغرب العربي نشؤه وتطوره من 1830 الى 1962، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1982)،ص84.

(3) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، نشره عبد السلام جسوس،(القاهرة، 1948)ص50.

(4) رفعت، مصدر سابق،ص579.

ان الشعب التونسي كان واعياً لخطر التجنيس، ولشدة تمسكه بلغته ودينه وقوة اعتزازه بحضارته الاسلامية، فوت الفرصة على تمرير الخطة الاستعمارية الخبيثة، وانكشفت دوافعها بسهولة، فقاومها الرأي العام واعتبر المتجنس من أبناء البلاد مرتداً عن الدين، بل حتى اذا مات لايدفن في المقابر الاسلامية ولايصلى عليه [1]. وبذلك لم تنجح عملية التجنيس بالرغم من قوة السلطة التي خططت لها وذلك لان الشعب كان واعياً ومعتزاً بانتمائه الحضاري العربي الاسلامي.

ج:الاقتصادية

يعد الاستغلال الاقتصادي من أول دوافع السيطرة الاستعمارية على البلدان فكانت مهمة الاستعمار في مستعمراته هي تثبيت أقدامه فيها وابقاؤه على معالم المجتمع القديم والقضاء على امكانيات الشعب لتطوير اقتصاده وبناء قاعدة صناعية مستقلة، ما عدا تطوير بعض مراكزه الاقتصادية التي تكون له أسواق لتصدير منتوجاته وتنشيط تجارته، لقد تميز الاقتصاد التونسي في العهد الاستعماري بشدة ارتباطه بالاقتصاد الفرنسي، ومن ذلك ان التجارة الخارجية كانت أساساً مع منطقة الفرنك، بوجه عام وفرنسا بوجه خاص اذ تضمن تصدير المواد الخام واستيراد المواد المصنعة[2].

ان غاية الاستعمار هي الاستيلاء على ثروة البلاد وتوجيه السياسة الاقتصادية فيها، من انتاج وتداول وتوزيع نحو تحقيق دولة الاحتلال على حساب البلد المحتل، وللوصول الى هذه الغاية تستقي النظم والقوانين الملتوية، وتتخذها أداة لتنفيذ أغراضها الاستعمارية، وقد بادرت فرنسا منذ احتلالها لتونس الى وضع يدها على عناصر الانتاج والتداول،

(1) الفاسي، مصدر سابق،ص 51؛ البوني، مصدر سابق،ص92.
(2) راشد البراوي، اقتصاديات العالم العربي من الخليج الى المحيط، مكتبة النهضة المصرية،(القاهرة،1968)،ص 352.

وأطلقت يد الفرنسيين والاجانب في تونس مهيئة لهم سبل اغتصاب ثروة البلاد والدخل القومي، مما أدى الى اختلال التوازن الاقتصادي وانخفاض مستوى المعيشة بين الاهالي، وقد شمل التدخل الفرنسي من هذه الناحية جميع فروع الانتاج الزراعة والصناعة والتجارة[1].

ولما كانت فرنسا مهد القانون الحديث وعليه فان مشرعيها لم يعدموا الحيلة القانونية لانتزاع الاراضي من العرب، فاتخذوا القانون مطية لتنفيذ أغراض الجشع الاستعماري وانتهجت سياسة السلب والنهب في تونس وألبستها ثوباً من المشروعية، ولاجل أن تسيطر فرنسا كلياً على الحياة الاقتصادية في البلاد وجهت همها الى الاستيلاء على الاراضي الزراعية، واتخذت كافة الوسائل ومن ضمنها اصدار القوانين والتشريعات لانتزاع الاراضي من يد أهلها الاصليين[2].

واكتفت فرنسا في أول الامر بتشجيع الاستعمار الحر وكانت المشكلة في ايجاد وسيلة تطمئن الراغبين في استغلال الاراضي على ثبوت ملكيتهم وحريتهم في التعامل عليها، وفي سنة 1885 تقرر تطبيق نظام تورنر[3]، وبمقتضاه يستطيع المالك لقطعة الارض أن يضمن

(1) محمد مهدي الشريف، ما يجب ان يعرف عن تاريخ تونس، تعريب محمد شاوش- محمد عجينة، سراس للنشر (تونس،1985)،ص95؛ الشعوب العربية في حديقة خوسيه مارتي، الاجتياح الفرنسي لتونس، www.embacubasiria.com.

(2) يسري عبد الرزاق الجوهري، شمال أفريقية، دار الجامعات المصرية،(الاسكندرية،1970)،ص204؛
Raymond (A) La Tunisie- Que sais-je? Presses universities de france 1961, p.44.

(3) تورنر: وهو نظام ساري في استراليا لتنظيم الملكية العقارية . الشريف،ما يجب ان يعرف،ص100؛ وادي،مصدر سابق،ص87.

ملكيته لها من خلال تسجيلها في محكمة مختلطة، والمحكمة أنشئت خصيصاً لهذا الغرض وذلك بعد بيان حدودها ثم الاعلان عنها [1]، ويحتفظ بصورة من صحة الملكية في سجل خاص بالمحكمة للرجوع اليه في حالة ارادة المالك التصرف في قطعة الارض بالبيع، وبهذا يطمئن المشتري الجديد على عدم امكان ادعاء شخص آخر ملكية العقار[2].وعلى الرغم من هذه التسهيلات فقد وجد أن نظام الاستعمار الحر لم يشجع سوى عدد قليل من الفرنسيين على الهجرة والعمل في المجال الزراعي فضلاً عن أن هذا العدد القليل كان ينتمي الى كبار الرأسماليين الذين يشترون مساحات واسعة من الاراضي ويؤجرونها للسكان الاصليين أو للاوربيين أو من الاجناس الاخرى[3].

مكنت الادارة الفرنسية للمعمرين الفرنسيين أيضاً الحصول على مساحات شاسعة من الاراضي والغابات، اذ بيعت لهم بأسعار زهيدة ويكون الدفع طويل الامد، واتخذت السلطات الفرنسية فضلاً عن ذلك خطوات منها اصدار مرسوم عام 1892 الذي يقضي بضم الاراضي البور الى ملكية الدولة، وقد أدى ذلك الى الاستيلاء على مساحات شاسعة من الاراضي في الجنوب حول صفاقس، حيث استطاع الاوربيون أن يشاركوا في انتاج الزيتون وهو أهم مورد للسكان الاصليين قبل الاحتلال[4].

بلغت مساحة الاراضي التونسية الصالحة للزراعة سبعة ملايين من الهكتارات من مساحة تونس التي تقدر بـ(12) مليون ونصف من الهكتارات، وكانت هذه الاراضي قبل

(1) للمزيد حول هذا موضوع أنظر: ملحق 3.

(2) الشريف،مايجب ان يعرف،ص98-101.

(3) ابراهيم كبة، أزمة الاستعمار الفرنسي، مطبعة المعارف،(بغداد،1957)، ص16-17؛ زيادة، مصدر سابق،ص207؛وأنظر:الوثيقة التي ترخص لرعية فرنسا شراء العقارات، ملحق 3.

(4) مالكي، مصدر سابق،ص423.

الاحتلال تحت تصرف أهل تونس يعيشون على انتاجها، ومن تربية المواشي في مراعيها، وكـان بعضـها ملكاً للدولة أو للافراد أو للقبائل أو للاوقاف العامة والخاصة، ومع احـتلال الفرنسـيين لتـونس فـانهم أخذوا يفكرون في أحسن الوسائل لهجرة العنصر الاوربي اليهـا واسـتيطانها مـن دون مراعـاة اخـتلاف الوضع القانوني بين الحماية والمستعمرة[1]، ولكـن لم يكـن مـن المعقـول أن تلجـأ الحمايـة الى سياسـة الاستعمار الرسمي في حين هي تريد أن تثبت للرأي العام الفرنسي أن تونس لاتكلف حكـومتهم شـيئاً [2]، ومن الطبيعي أن تؤدي سياسـة الاسـتعمار الرسـمي الى ضرورة مسـاعدة الدولـة ماليـآ لاسـتعمار تونس، ففي سنة 1897 أنشئ صندوق لمساعدة صغار المهاجرين، ثم اعتمدت الجمعية الوطنية مبلـغ سبعة ملايين ونصف فرنك لتغطية نفقات الهجرة والاستغلال، ومع ذلك فان نتائج الاستعمار الزراعي في تونس كانت ضئيلة حتى الحرب العالميـة الاولى، اذ بلـغ عـدد المشـتغلين في الزراعـة 1708في عـام 1911، وكان المقصود من هذه الهجرة الرسمية هي موازنة العنصر الايطـالي[3].فقـد روعـي في توزيـع الاراضي الزراعية على أكبر عدد ممكن من المراكز مما حال دون قيام قرى اوربية خالصة.

تمكن المستوطن الاوربي الذي كان يستخدم الايدي العاملة التونسية، من اسـتغلال (ممتلكاتـه) الكبيرة الى أبعد مدى بحيث لم يتناسب نصيبه في الانتاج من المسـاحة التـي كـان يسـتغلها، فقـد بلـغ مجموع الملكيات الاوربية في تونس نحو 770.500 هكتار وهو

(1) نجلاء عز الدين،العالم العربي، دار الاحياء للكتب العربية،(مصر،1953)،ص393.
(2) عبـد الحميـد مسـعود الجزائـري، ثـورات المغـرب العربي،لجنـة الدعايـة للمغـرب العـربي، دار الجامعـة للطباعـة والنشر،(د.ت) ص82.
(3) يتبين من جدول-1- أن أعداد الايطاليين كانت تزداد من سنة 1881-1926 حتى فـاق الفرنسـيين، وهـذا سـببه قـرب ايطاليا من تونس.

مايعادل ربع الاراضي المزروعة التي تقدر مساحتها بـ 3.866.000هكتار، ومع ذلك فان نصيب الاوربيين من المنتجات الزراعية كان نحو 35% من مجموع الثروة الزراعية اذ قدرت قيمة الانتاج الاوربي سنة 1946بـ 6 مليار و707 مليون فرنك مع ملاحظة أن المنتفعين بهذه القيمة لايزيدون عن خمسة الاف شخص في حين يعتمد معظم الشعب التونسي في معاشه على ثروة بلاده الزراعية[1].

أدت سيطرة رجال الادارة الفرنسية الذين بيدهم توجيه السياسة المالية في البلاد، الى أن أصبح الشعب التونسي مهدداً بالفقر أمام هذه القوى التي تساندها السلطة التشريعية والتنفيذية في تونس[2].فاحتكرت فرنسا التجارة الخارجية لتونس، اذ أنها لم تسمح بأن تستورد من دول أخرى الا بواسطة الشركات الفرنسية وبذلك ترتفع الاسعار وتصبح غالية على المستهلك التونسي، في الوقت الذي تستفيد فيه الشركات الفرنسية من التصدير والاستيراد والبيع بالجملة والمفرد[3].و سارت فرنسا في سياستها الاستعمارية في المغرب العربي على وفق خطة منظمة صريحة، أساسها أن يبقى الحكم بيد الفرنسيين، وأن تهيأ المستعمرات أولاً وأخيراً لخدمة فرنسا وحدها. فمن الوجهة الاقتصادية يجب أن يكون معظم صادراتها ووارداتها لمصلحة فرنسا، فكانت فرنسا تشتري قبل الحرب من مجموع صادرات تونس مايعادل 56% وتبيع لتونس من مجموع الواردات ما يعادل 62% وكان يهم فرنسا من الوجهة الحربية وهي تعاني اطراد النقص في مواردها أن تلتمس العوض من ذلك بتجنيد رجال المستعمرات من دون أية تفرقة بين فرنسي أو اوربي أو تونسي، وبذلك

(1) كبة،مصدر سابق،ص33.
(2) الجزائري، مصدر سابق،ص82.
(3) الجزائري، مصدر السابق،ص86.

استطاعت فرنسا أن تحتفظ بمكانتها بوصفها دولة كبرى أمام منافساتها من الدول التي تباهي بكثرة سكانها ووفرة مواردها[1].

وساعد نظام الحماية على سرعة استغلال المستوطنين الفرنسيين لامكانيات تونس وبقوة خاصة أنه قد جعل منهم رعايا الدولة المتفوقة في البلاد وأعطاهم الحماية اللازمة للقيام بعملهم وعضدهم أمام أية منافسة يقوم بها أي اوربي آخر.فاذا أضفنا الى هذا شعور الفرنسيين بالاطمئنان والثقة للعمل في منطقة تخضع لحماية بلادهم وعمل السلطات الفرنسية على تمهيد الطريق أمام التوسع الاستغلالي الفرنسي، لوجدنا أن الظروف اجتمعت لوضع تونس بأكملها تحت سيطرة الاستغلال الاستعماري الفرنسي[2].

وفي مجال التجارة الخارجية أيضاً أدخلت فرنسا تحسينات على النظام الكمركي لفائدة فرنسا، اذ تستورد مواد أولية من تونس وتصدر لها منتجات مصنعة مما أدى الى عجز اقتصادي أخذ باالاستفحال مع تزايد عدد سكان البلاد التونسية، وتغير الاذواق وتصاعد الرغبات[3].أما بخصوص التجارة الداخلية فقد شهدت تطوراً كبيراً، اذ كان ينميها الاوربيون أو الوسطاء اليهود الذين سرعان ما تفرنسوا[4]. ومن أسباب تطور التجارة شبكة الطرق والمواصلات، التي تطورت بفضل الاعتمادات والقروض اذ ما لبث أن مدت خطوط السكك الحديد عبر انحاء البلاد، لخدمة المناطق التي توجد فيها مستوطنات زراعية، وفي المناطق المنجمية.فقد تم مد 200 كيلو متر، ثم مدت شبكة من الطرق المعبدة

---

(1) رفعت، مصدر سابق،ص576.

(2)المصدر نفسه،ص576-577.

(3) الشريف، مايجب أن يعرف، ص103 .

(4) الهادي التيموري، الحركة الصهيونية في تونس في الفترة بين 1911و1927،منشورات اتحاد المؤرخين العرب،(بغداد،د.ت) ص ص3-8.

طولها حوالي 9 الاف كيلو متر [1]، وجهزت الموانئ بتجهيزات حديثة اذ أظهرت فرنسا اهتمامها ورغبتها في أن تدخل على بحيرة بنزرت تحسينات عام 1897، وكلفت لجنة خاصة بضبط مصاريف هذه الاشغال التي قدرت نفقاتها بـ860000 فرنك، وبفضل هذه التحسينات أصبحت بنزرت قاعدة بحرية حيوية صالحة لصد الهجمات[2].

أما في مجال الصناعة فقد عمل الفرنسيون على محاربة الصناعات الوطنية التي كانت مزدهرة قبل احتلالهم البلاد، وكان الهدف من ذلك هو فتح السوق التونسي على مصراعيه أمام الصناعة الاجنبية ولاسيما الفرنسية وتحويل تونس بأكملها الى مجال لتصريف انتاجها، و بدأ المستعمرون في تطوير قطاع صناعي خاص بالصناعات الاستخراجية وأخذوا يطورون بعض المرافق الضرورية كالموانئ والسكك الحديدية، و اهتم الفرنسيون في أن ينفردوا في هذا المجال والعمل على استبعاد أهل البلاد عن تملك أية مشروعات لها قيمة في هذا الصدد[3].

وساعد تطور الالات في عهد الثورة الصناعية على سرعة رأس المال وبالنهاية سرعة وصول الربح وتكدسه في أيدي رجال الاعمال، مما أغراهم بالاندفاع الى حب المغامرة فيما وراء البحار وخاصة في المناطق القريبة من فرنسا ولاسيما أفريقيا، فأصبح أوائل صغار المستغلين والمهاجرين والمستوطنين شبه المعدمين الذين وردوا الى الجزائر قبل تونس بأربعين سنة من أصحاب الاموال والنفوذ [4].

---

(1) الشريف، مصدر سابق،ص102.

(2) الفكياني، مصدر سابق،ص94.

(3) ابراهيم طوبال، البديل الثوري في تونس، دار الكلمة للنشر، (بيروت،1979)،ص 22.

(4) يحيى،مصدر سابق، ص336.

وعملت فرنسا على اصدار تشريعات وقوانين لرعاية مصالحها وازدياد تفوق نفوذهـا، وأعطـت لوجودها لوناً قانونياً يصعب الجدل فيه، مادام قد صدر باسم الباي وتوقيعه.فعـلى اسـاس ذلـك قـام الفرنسيون باستغلال الثروة المعدنية في وسط البلاد وجنوبها، خاصة بعد أن تمكنت سـلطات الاحـتلال من اعلان الوديان والغابـات والمنـاجم ملكـاً للدولـة التونسـية، فتمـنح حقـوق اسـتغلالها لمـن تشـاء، ومهدت بذلك الطريق لمنح الامتيازات والاستغلال للفرنسيين فقط، مانعة بذلك التونسيين، والاجانـب من غير الفرنسيين من النزول الى هذا الميـدان، فاسـتولت عـلى انتـاج الفوسـفات والحديـد والرصـاص والنحاس مما أدى الى افلاس الخزينـة التونسـية، وأدى الى انخفـاض أجـرة العامـل وانخفـاض مسـتواه المعاشي وانتشار الفقر والحاجة بين أبناء الشعب التونسي، اذ يعمـل في قطـاع التعـدين نحـو 24.000 عامل وتعد تونس رابع دولة في انتاج الفوسـفات وتصـدر منـه نحـو 60% الى الاسـواق الغربيـة فـيما يصدر الباقي الى اوربا الشرقية والصين [1]، وكانت نتيجة هذه السياسة الاقتصادية تزايد الشعور بسـوء بسوء الحالة الاقتصادية نتيجة السيطرة الاستعمارية، مما دفع الشعب الى مقاومتها.فظهـرت حمـلات صـحفية ومظـاهرات في الشـوارع والمقاطعـات بـين سـنة 1920-1921 ضـد هـذه السياسـة ومطالبـة الحكومة الفرنسية بتغييرها [2]، لان الاراضي التي عثر فيها على منـاجم الفوسـفات أو الحديـد وغيرهـا من المعادن التي كانت تنتجها تونس، ضمت الى الاملاك الاميريـة، ثـم تنازلـت عنهـا الدولـة لشركـات الاستغلال الفرنسية نظير عوائد بسيطة، وأدى هذا الى تفجير الوضع[3].

---

(1) العالم الاسلامي من اقليم المسلمين تونس، مصدر سابق،ص26.

(2) وادي، مصدر سابق،ص88.

(3) يعد الفوسفات أهم المعادن التونسية وقد تم اكتشافه سـنة 1885 قـرب مدينـة قفصـة ثـم المنـاطق الاخـرى حتـى أصبحت تونس تنتج قبل الحرب العالمية الاولى ماقيمته 348 مليون فرنك سنة 1914

أما الصناعة التحويلية التي كانت محدودة في البداية، لكنها بدأت تتنوع منذ سنة 1930 مثل(الصناعات الغذائية والاسمنت والاحذية والدباغة) وبدأت تظهر أولى وحدات الصناعة المعدنية والكمياوية، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية وبفضل الاجراءات التحفيزية التي اتخذها السلطات العمومية، تقدم قليلاً القطاع الصناعي بعد انشاء مؤسسات جديدة داخل الفروع الغذائية مثل(صناعة البسكويت وصناعة الجعة) والكمياوية مثل(صناعة الصابون والدهون) والمعدنية مثل (مصانع الحديد والحزم الحديدية والنسيج)ومع ذلك فقد تميزت الصناعة التونسية في عام 1956 بالتبعية لفرنسا، وللمؤسسات الصناعية، اذ أن 75% من الوحدات الصناعية التي تشغل أكثر من 50 عاملاً كانت موجودة في العاصمة تونس، و 7% في بنزرت، و 13% على الساحل، و7% في صفاقس و6% في سوسة[1].

د:الاستيلاء على الاوقاف

تحقيقآ لاغراض فرنسا الاستعمارية، في احكام سيطرتها على تونس ونهب خيراتها، قامت بالاستيلاء على الاوقاف الخيرية، وحتى تخفف من وقع الصدمة على التونسيين الذين يعيشون من هذه الاوقاف، تجنبت مؤقتاً الاستيلاء على الاوقاف الاهلية، ولما كانت هذه الاوقاف غير قابلة للبيع، بحث الفرنسيون في الفقه الاسلامي عن حل يجيز للمستوطنين الاستيلاء على هذه الاراضي بالاساليب الملتوية، فتمسكوا برأي ضعيف في المذهب المالكي يبيح الاجارة المستديمة للاراضي الموقوفة، وبرأي آخر في المذهب الحنفي يبيح جواز

وقد أصبحت تونس ثاني دولة في العالم في انتاج الفوسفات،للمزيد أنظر:داؤود صليبا ومصطفى الحاج، العالم العربي،(د.ت)،ص209-210.

(1) عبد الحميد براهيمي، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1996)ص81-82.

استبدال العقار المؤقت الموقوف بأخر، اذا كان ذلك في مصلحة الواقف[1].وبهذا أصبح المستوطنون يمنحون ألف هكتار سنوياً من أراضي الاوقاف الشاسعة التي تغطي الاراضي المزروعة في شمال تونس وذلك نظير ايجار سنوي ضئيل، لكن المستوطنين لم يحترموا شروط الاستغلال، اذ قدموا اقتراحاً عام 1904بانتزاع الاوقاف الاهلية وكفوا عن الايجار سنة 1905[2].

وقامت السلطات الفرنسية بالتوسع في تفسير الاملاك الاميرية، اذ كانت أملاك الدولة لاتتجاوز مئة ألف هكتار وسرعان ما أخذها المستعمرون الفرنسيون وأخذوا بالبحث عن مصادر جديدة، فصدرت مراسيم بضم المراعي والعيون الى الاملاك الاميرية مما أدى الى الاصطدام بالقبائل التي تنتفع بالمراعي في شمال تونس، وحتى تقطع على القبائل أية دعوة في ملكية هذه المراعي، صدر حكم من محكمة العقارات بأنه ليس للقبيلة شخصية معنوية يمكن أن تستند اليها في ادعاء الملكية[3].ثم ألحقت فرنسا قراراً آخر عام 1890 يقضي بضم جميع الغابات والاحراش الى أراضي الحكومة وأضافت اليه عام 1898 جميع أرضي الاوقاف التي تقدر مساحتها بـ4 ملايين هكتار، فاستولت على معظم الاراضي الزراعية وحولتها للمهاجرين الفرنسيين بأسعار زهيدة[4].

هـ: التعليمية والثقافية العامة

سيطرت فرنسا على التعليم الرسمي وأخضعته لنظمها، أما التعليم الخاص فقد ترك حراً، فكان ثمة مكان لـ134.000 طالب وطالبة في المدارس الرسمية حتى أصبح

(1) المحجوبي، انتصاب الحماية،ص44.
(2) يحيى، مصدر سابق،ص334.
(3) المصدر نفسه،ص 334-335.
(4) وادي،مصدر سابق،ص88.

الطالب التونسي يتقن اللغة الفرنسية وأسرارها أكثر من العربية، حيث قضت فرنسا على المعاهد الاهلية التي كانت تخرج علماء اللغة والشريعة وأبقت الشيء القليل منها، في محاولة لجعل تونس خاضعة للثقافة الفرانكفونية[1]، وقامت فرنسا بمحاربة كل المؤسسات الدينية لدى الشعب التونسي، وعملت على القضاء على اللغة العربية وشيدت مدارس ومعاهد فرنسية باعتبار أن مساحة تونس صغيرة فتمكنت من بسط نفوذها بسرعة على جميع الاراضي[2].

واتجهت سياسة فرنسا التعليمية منذ فرض الحماية الى محو الروح الوطنية، وذلك بمحاربة اللغة العربية والاستعاضة عنها باللغة الفرنسية، وبتطبيق برامج خاصة لاخراج الجيل الناشئ عن قوميته العربية الاسلامية وقطع الصلة بينه وبين ماضيه وتاريخه لتتمكن من دمجه في الثقافة الفرنسية[3]، فأسس الفرنسيون عام 1883 ادارة العلوم والمعارف ووضعوا برنامجاً لانشاء المدارس الابتدائية الفرنسية للاوربيين والعرب على غرار المدارس الموجودة في فرنسا نفسها[4]، اذ كانت فكرة مدير العلوم والمعارف وهو موظف فرنسي أن ينشئ شبكة من المدارس في كل المدن يؤمها الاطفال سواء كانوا تونسيين أم جاليات أجنبية لينشئهم نشأة فرنسية.فلم يكن هناك نصيب للغة العربية في برامج الادارة الفرنسية، لكن سمح بتدريس اللغة العربية في مدارس خاصة وجعلت هذه المادة اختيارية، وقد أدرك الشعب التونسي خطر هذه السياسة ولم يكف منذ البداية عن المطالبة بتعليم وطني أساسه العربية، وكان لجامعة الزيتونة وغيرها من المؤسسات الثقافية والدينية الصغرى من

---

(1) وهو مصطلح يطلق على الشعوب الناطقة بالفرنسية.

(2) يحيى،مصدر سابق،ص3.

(3) الجزائري، المصدر السابق،ص83؛ و وادي،مصدر سابق،ص74.

(4) المصدر نفسه،ص84.

الكتاتيب والزوايا التي تشتمل على كثير من التلاميذ الذين يتلقون الثقافة العربية على الطريقة القديمة الدور الكبير في الدفاع عن اللغة العربية وثقافتها[1]. ان التونسيين من المثقفين وعلماء الدين لم يرضهم هذا الحال، فعملوا على انشاء المدارس الخاصة فوضعت العراقيل أمامها حتى لم يتعد عدد مدارسهم عام1930 12 مدرسة لكن ازداد هذا العدد في عام 1936الى 46 مدرسة وأنشئت على غرارها مدارس صناعية.أما التعليم العالي فاقتصر على جامع الزيتونة فهو ابتدائية وثانوية وعالية ولا يهتم الا بالتعليم الديني، ومصاريفه من الاوقاف وعدد طلابه عشرة الاف طالب، ولذا بلغ عدد التونسيين الذين وصلوا سن التعليم في سنة 1946الى700.000 طالب لم يدخل المدارس منهم سوى 74.557 طالباً أي أن نسبة من يتلقى التعليم لاتزيد عن 10% في حين كانت المدرس الفرنسية متاحة للفرنسيين حتى في أصغر القرى، وقد وصلت نسبة من يتلقى التعليم من أبنائهم الى 85%[2].

كان جامع الزيتونة منهل العلوم والمعارف ومعقل العربية وحامل أمجاد الاسلام فقد غرس في نفوس طلابه الروح الادبية فاصطبغ خريجوه بصبغة الولاء لمجد العروبة والاسلام، ومن هنا كانوا هم رواد وطلائع القوى الوطنية لشق طريق الجهاد ضد المستعمر الفرنسي فيما بعد.

كان جامع الزيتونة ممثلاً بعلمائه وأبنائه وخريجيه في الصف الامامي على خط المواجهة مع المستعمر، اذ أجج شعلة الجهاد ضد الفرنسيين فور احتلالهم تونس.وهنا لايجب نسيان

(1) البوني،مصدر سابق،ص73.

(2) محمد هادي الزمزمي، الحرب على جامع الزيتونة في الحقبة العلمانية، .www .ezzitouna.org ؛ رياض،مصدر سابق،ص37.

دور البشير صفر[1] في مقاومة الاستعمار وثقافته، فقد دعا الى بعث الجمعية الخلدونية وانشاء المدرسة الخلدونية والمدرسة الصادقية لنشر العلوم الحديثة[2]، فكانت مقصداً لطلاب العلوم العصرية من كيمياء ورياضيات وجغرافية ولغات، وكانت الغاية من بعث هذا المعهد العلمي لتتكامل معارفه العصرية مع التعليم الزيتوني من أجل تحقيق نهضة حقيقية للبلاد التونسية. وقد تدخل الفرنسيون في تعليم جامعة الزيتونة اذ الزموا الطلبة بتعلم اللغة الفرنسية ولا شهادة بدون امتحان ونجاح في لغتهم[3].

لقد عمل الاستعمار الفرنسي جاهداً على القضاء على اللغة والهوية العربية لانها وعاء ثقافة التونسيين ووسيلة عقيدتهم وتراثهم الاصيل، لان المستعمر كان على علم بأن وجوده لن يدوم بالقوة العسكرية فقط بل يجب السعي للقضاء على لغة الشعب، من خلال فرنسة

(1) ولد البشير صفر في تونس سنة 1865ونشأ فيها،وتلقى علومه في الصادقية وواصلها في باريس التقى خلالها مع طلبة المشرق العربي وهو من المؤيدين للحركات الفكرية والاصلاحية،وبعد عودته أصبح أحد أساتذة الصادقية البارزين فتقلد بعض الاعمال الادارية ثم شجع على انشاء جريدة الحاضرة وبث الوعي الوطني بين عامة الناس وكان له دور بارز في انشاء معهد تابع للجمعية الخلدونية الذي أصبح يدرس مختلف العلوم. أنظر: الشريف،اضواء على تاريخ تونس،ص165 ؛الزمزمي، مصدر سابق،ص2؛ نحلة، مصدر سابق،ص58.

(2) المدرسة الصادقية :أسسها الوزير المصلح خير الدين التونسي 1875وهذه المدرسة أحييت على يد ثلة من التونسيين الاصلاحيين حيث قامت بتدريس العلوم العصرية.الزمزمي،مصدر سابق،ص5.

(3) الزمزمي، المصدر نفسه،ص5.

التونسيين فحول المدارس الوطنية الى فرنسية بل حتى أنه قام يشكك التونسيين في هـويتهم العربيـة والادعاء بانتسابهم الى البربر[1].

ان السياسـة البربريـة لم تكـن الا مظهـراً واحـداً مـن مظـاهر مقاومـة اللغـة العربيـة والـدين الاسلامي، ولكن الجهود المتقنة التي بذلها الاستعمار عن طريق سياسة التعليم كانت أقوى أثراً وأشـد خطراً على الثقافة العربية والدين الاسلامي فقد نشأت أجيال الحماية جاهلـة بكـل مـا يعنيـه الـدين والاسلام، وبكل أسرار العربية وتاريخ الحضارة الاسلامية[2].

ان الاطار الثقافي قد مثل احدى تجليات النفوذ الذي مارسه الاستعمار على هذه المنطقة حيث ترك بصمات واضحة على البنية الثقافية لتونس وحفر أخاديد عميقة في نسيجها الاجتماعي، وقد نجـح في فرض اللغة الفرنسية رمزاً للمعاصرة[3].

و:الصحة العامة

(1) وهو ادعاء الفرنسيين أن أصل التونسيين من البربر وليس من العرب بل أن العربية فرضت عليهم،لـذا يجـب علـيهم الرجوع الى أصلهم البربري، وحتى أن الفرنسيين أنشأوا المـدارس الخاصـة= =بـالبربر وشـجعت عـادتهم وتقاليـدهم البعيـدة عـن الاسـلام.للمزيـد عـن هـذه السياسـة أنظـر :- نـزار أحمـد المختـار،"وحـدة المغـرب العـربي الفكـرة والتطبيق1918-1958"،رسالة ماجسـتير غـير منشـورة، كليـة التربيـة جامعـة الموصـل،(الموصـل 1998)، ص20؛عـلال الفاسي،محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الاولى،جامعة الدول العربية معهد الدرسات العربية العالمية، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة،1955)،ص50-71؛الفاسي،الحركات الاستقلالية،ص141.

(2) الصـادقي العـماري، أبعـاد التعريـب في فكـر عـلال الفـاسي، مجلـة المسـتقبل العربي،العـدد267، السـنة الخامسة،(بيروت،2001)،ص130.

(3) بـو قنطـار الحسـان، السياسـة الخارجيـة الفرنسـية ازاء الـوطن العـربي منـذ عـام 1967،مركـز دراسـات الوحـدة العربية،(بيروت،1986)،ص365.

لم تقم السلطة الفرنسية بواجبها في المجال الصحي، بل أهملته كل الاهمال ولم تخصص في الميزانية التونسية من الاعتمادات ما يكفي للقيام بشؤون الصحة.ولم تعهد السلطة الفرنسية برعاية العجزة من التونسيين بل نجدها قد خصصت للفرنسيين مؤسسات متعددة تنفق عليها من الميزانية التونسية، أما الطبقة الفقيرة فمع تزايد عددها فقد تركت للفقر، أما رعاية الامهات مدة الحمل فلا توجد مستشفى واحدة للمواليد.في حين كانت الطفولة وحمايتها معدومة بالنسبة للعرب.ان اهمال السلطة الفرنسية للحالة الصحية من خلال ضآلة عدد المستشفيات وعدد الاسرة فيها، وانعدام الاجهزة الطبية اللازمة فلا يوجد غير 4285 سريراً للعرب، ويوجد في العاصمة تونس ألفا سرير، وهذا يعني أن بقية السكان (العرب) سواء كانوا من أهل المدن أم القرى لايوجد لمرضاهم سوى 2285 سريراً، أما الاوربيون والفرنسيون فكان كل شيء موفر لهم[1]. وعليه، كانت المعاناة من الامراض، وكان الفقر وسوء التغذية مما يزيد في تفاقم الازمة في الحالة الصحية للشعب التونسي وازدياد معاناته تحت وطأة الظروف الصعبة التي عاناها في كل شيء[2].

---

(1) الجزائري، مصدر سابق،ص84.

(2) رياض، مصدر سابق،ص253.

الفصل الثاني

ظهور الحركة العمالية التونسية وتطورها

(1919-1945)

أولاً: نظرة في الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية

ثانياً: بدايات الحركة العمالية والنقابية التونسية

ثالثاً: الصراع النقابي الفرنسي- التونسي

رابعاً: نهاية جامعة عموم العملة التونسية(الاولى)

خامساً: وضاع الحركة العمالية التونسية حتى عام 1945

سادساً: نهاية الجامعة النقابية (الثانية)

الفصل الثاني

ظهور الحركة العمالية التونسية وتطورها

(1945-1919)

قبل الحديث عن الحركة العمالية والنقابية التونسية، يجب ايضاح معنى المصطلحين (الحركة العمالية) و(الحركة النقابية)، أما الحركة العمالية (أو حركة العمل) وتسمى حركة الطبقة العاملة المنضمة الى الاتحادات العمالية والنقابات بمعناها الواسع والوظيفي والتركيب المؤسسي- بالمجتمع القائم على التعاون المشترك في سبيل مصلحة أعضاء هذه الحركة، وحركة العمل تصب فعالياتها في ثلاث جبهات: الجبهة السياسية، والجبهة الصناعية، والجبهة التعاونية[1]. أما الجبهة السياسية فتكون جزءاً من حزب سياسي، كما في الحزب الحر الدستوري التونسي[2]، أو أنها تستخدم النشاط السياسي كعكاز للوصول الى

(1) محمد محمود الحبيب، "أيديولوجية حركة العمل في الشرق الاوسط دراسة مقارنة مع الدول النامية"، بحث مستل من مجلة الجامعة التي تصدرها جامعة البصرة، الجزء الثالث والرابع، السنة الثانية، تموز، 1968، طبع بمطبعة حداد، البصرة،1968، ص1-2؛ رزاق ابراهيم حسن، النقابات العمالية والطوائف الحرفية، مجلة افاق عربية، العدد 9، السنة الثانية، (بغداد،1987)، ص 92.

(2) أشارت المصادر التاريخية الى أن الحزب الدستوري (وبالاخص زعيمه بورقيبة)حاول أن يكسب العمال الى جانبه بوصفهم الطبقة الغالبة في المجتمع، للمزيد أنظر:محمد عنان، البورقيبية، مطبعة فن الطباعة، (ب.د،1973)، ص16-17.

الاهداف الاقتصادية كما نراه في حركة العمل في الولايات المتحدة في منظمة A.F.L.C.I.o [1].

أما الحركة الصناعية الهادفة الى مغانم اقتصادية فتأتي من حركة العمل، لان العمال أنفسهم أجراء مستخدمون في المنشأت الصناعية[2]، أما الاهتمام بالتعاونيات الانتاجية والاستهلاكية فناجم عن تخطيط لحماية العامل المستهلك من احتكار السوق وأسعار السلع العالية[3].

أما مصطلح الحركة النقابية فيقتصر على الفعاليات والنشاطات التي تقوم بها النقابات في الجبهة الصناعية بالدرجة الاولى، وفي قضايا اقتصادية لحماية مصالح أعضائها في علاقات العمل [4].

أولاً:نظرة في الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

عرفت تونس الحركة النقابية منذ مطلع القرن العشرين، اذ يذكر البشير الحاج أبن عثمان الشريف(أن معلمي اللغة العربية من خريجي المدرسة العصفورية كانت مرتباتهم جامدة طيلة فترة العمل حتى سن التقاعد عام 1910، فحرروا لائحة ضمنوها مطالبهم ثم بعثوا بها الى كافة معلمي اللغة العربية بمختلف أنحاء البلاد للتوقيع عليها ثم وجهت الى المدير العام للعلوم والمعارف والفنون المستطرقة، فكانت أول صحيفة للمطالبة

---

(1) صادق جعفر الفلاحي،"الحركة النقابية نشأتها وطبيعتها ومهماتها "، مجلة الثقافة الجديدة، مطبعة الشعب، العدد 46، (بغداد،1973)ص38.

(2) جمال البنا، دور النقابات في المجتمع الاشتراكي، المطبعة العالمية، (القاهرة، 1967)ص23.

(3) كما في تجربة محمد علي في انشاء (جمعية التعاون الاقتصادي).

(1) ويقصد هنا حث السلطات الحكومية على اصدار قوانين العمل والضمان الاجتماعي.

بحقوقهم لكن لم تلق أية نتيجة، لكن في عام 1913 اعترفت ببعض مطالب المعلمين، الا أن اندلاع الحرب العالمية الاولى أبقت الامور على حالها، وبعد مشاورات استقر رأيهم على تأسيس نقابة للتعليم العربي خلال العطلة الصيفية لعام 1919، ولما استشاروا أحمد بن صالح الذي كان من خبراء الاعلام في هذا الميدان أشار عليهم بتأسيس جمعية ودادية لمعلمي اللغة العربية باعتبار أن حكومة الحماية لم تبح النظام النقابي وكذلك فعل عملة معمل الدخان وأسسوا ودادية للدفاع عن حقوقهم ولما أسست بتونس نقابات تابعة للجامعة العامة للشغل الفرنسية 1919 انخرط بها العمال التونسيون أملاً بالحصول على حقوقهم، لكن هذه النقابات خيبت آمالهم)[1].

ان خروج فرنسا منتصرة في الحرب العالمية الاولى(1914-1918)، توافق مع نهاية مرحلة ما عرف باستتاب أمن المستعمرات[2]، وقد بدأت الاستثمارات بدايتها الفعلية بعد أن وضعت الحرب أوزارها فكان استثمار الصناعات المنجمية والاستخراجية مع توسيع شبكة المواصلات الحديدية وغيرها، متوافقاً مع زيادة العمران واتساع المدن، وبخاصة ما يمت للوظائف التجارية بصلة مثل المدن الساحلية المرتبطة بحركة التصدير والاستيراد التي تضاعف عدد سكانها في سنوات قليلة بفعل استيلاء المستعمر الفرنسي على أهم

(1) الشريف، أضواء على تاريخ تونس، ص233.

(2) ويجب أن نشير هنا أن أكثر من 65.000تونسي قد شاركوا الى جانب فرنسا في الحرب العالمية الاولى توفي منهم ما يقرب من 10.900 وتمت تعبئة أكثر من 30.000للمساهمة في اعادة بناء فرنسا، أي ان ربع السكان التونسيين النشطين ظلوا في خدمة فرنسا مابين 1914-1918 وكل هذه الاعداد توقعوا تعاملاً مماثلاً من لدن فرنسا، لكنهم أصيبوا بخيبة أمل لما تعرضوا له، مباشرة بعد انتهاء الحرب، من مظاهر البؤس الاقتصادي فضلاً عن الجفاف والمجاعات والتدهور الاجتماعي وتضييق للحريات العامة سياسياً ونقابياً، أنظر: مالكي، مصدر سابق، ص357.

الاراضي الصالحة للزراعة (كما ذكر سابقاً) الى جانب ذلك انتـشار الاقتصاد السلعي الذي هدم أسس الحياة التـقليدية في الانتاج والتبادل، مما دفع بجماهير عديدة الى النزوح من الريف الى المدينة طمعاً في حياة جديدة[1]، و قد استطاع المعمرون الفرنسيون والايطاليون الاستحواذ عـن ماينـاهز 800 ألـف هكتار، مما يمثل أخصب الاراضي عـلى رقعـة تـونس، مسـتخدمين في استـثمارها الاسـاليب الحديثـة(جرارات، وحاصدات)، وقد خلقت هذه المزارع الحديثة سـوق عمـل جيـد يضـم عشرات الالاف مـن العمال الزراعيين[2]، و لم يترك الاستـثمار الفرنسي الا هامشاً صغيراً للبرجوازيـة التونسـية حيـث اقتصر على التجارة والعقار من دون أن تطمح الى مشاركة فعلية في الصناعات، بمعنى بقي أغلـب رأس المـال أجنبياً في حين كان أكثر العـمال هـم مـن أهـل الـبلاد.وأدى هـذا التطـور الرأسـمالي الى نشـأة الحركـة العمالية خاصة في القطاعات المنجمية والنقل والموانئ، وأدى هـذا الى القضـاء عـلى البنيـة الاقطاعيـة التي كانت سائدة في المرحلة السابقة على الاحتلال[3].

ان سيطرة الرأسمال الاجنبي على المنشأت الاقتصادية جميعهـا عـلى اخـتلاف أهميتهـا، كونـت شركات جديدة وازداد عدد المنشأت في صناعة استخراج المعادن فبلغ عددها 58 منشأة عـام 1924 في حين لم تتجاوز 37 منشأة عام 1914، وكان نتيجة لذلك ارتـفاع

(1) المحجوبي، الحركة الوطنية، ص119.

(2) جورجيت عطية ابراهيم،"حركة النقابات التونسية عبر التاريخ الوطني"، مجلة دراسـات عربيـة، العـدد(8)، السـنة 16، دار الطليعة،(بيروت،1980)، ص47؛ عبد المنعم الغزالي الجبـيلي، تـاريخ الحركـة العماليـة والنقابيـة في العـالم، مكتبة النهضة،(بغداد، ب.ت) 34.

(3) عبد المالـك خلـف التميمـي، "بعـض ملامـح الحركـة العماليـة في المغـرب العـربي ودورهـا الـوطني"، مجلـة علـوم اجتماعية، جامعة الكويت، العدد الاول، المجلد 12، ربيع 1984، ص 29.

صادراتها من 15.5 مليون فرنك عام 1914 الى 97.7 مليون فرنك عام 1924[1]. وقد رافقت هذا التطور الصناعي زيادة أفراد الطبقة العاملة، و بناء على تعداد سكان تونس لعام 1921 فانهم كانوا 2.93.931 نسمة، كان 11.310 عامل فضلاً عن 30929 من العمال الاوربيين موزعين على قطاعات الصناعة والزراعة والتجارة والنقل [2].

كان التونسيون ومعظمهم مزارعون يعملون في الزراعة، فيما يتراوح العاملون في الصناعة والنقل 30000و 35000 يعمل نصفهم في الصناعات المنجمية فارتفعت هذه النسبة بعد الحرب مباشرة اذ ازداد عمال المناجم من 14350 عام 1920 الى 19920 عام 1924، حيث تفيد المعطيات التي قدمها جوهو[3] رئيس الاتحاد العام للعمال في فرنسا أن عدد المشتغلين في المناجم 20000 عامل من بينهم 80% من التونسيين.

ان تراكم رؤوس الاموال يمكن أن يؤدي الى قيام صناعات كبيرة لدى التونسيين قبل الاحتلال، كما هو الحال في اوربا لكن أصحاب الاملاك الواسعة فضلوا الاحتفاظ بها وعدم المغامرة في توظيفها في الصناعة حتى لاتخسر، والعائلات الكبيرة كانت تأنف من العمل في التجارة لانها لاتحتاج الى التودد للمشترين وحسن معاملتهم لاغرائهم بالشراء وهذا تنازل لايجوز تقديمه من وجهة نظر العائلات، باستثناء عدد قليل من العائلات

---

(1) ايفانوف، ولادة الجركة العمالية الوطنية التونسية 24- 1925، ترجمة وتعليق:حفناوي عمايرية، مجلة دراسات عربية، العدد الاول، السنة التاسعة، (بيروت، 1972)، ص66.

(2) ايفانوف، مصدر سابق، ص66.

(3) جوهو: وهو رئيس الاتحاد العام للعمال في فرنسا (C.G.T)، وهو تابع للحزب الاشتراكي الفرنسي، وهو رجل اصلاحي انتهازي عمل في الحقل النقابي مدة نصف قرن، امتاز بمشاركته في محاولة احباط الحركة العمالية في تونس، أنظر:ايفانوف، مصدر سابق، ص67.

مارست التجارة[1].وخارج المدن كانت العائلات الكبيرة تملك مساحات واسعة من الاراضي لكن هذه الاراضي لم تحسن استغلالها وتركت بوراً، ولما احتلت البلاد استغل الفرنسيون هذه الاراضي واستولوا على جزء كبير منها.أما بالنسبة للعمال، فكان عمال الزراعة يطلق عليهم الخماسة أو الرباعة في بعض الجماعات نسبة الى الخمس أو الربع الذي ينالونه مقابل خدمة الارض حتى تعطى ثمارها، وهؤلاء العمال كانوا يعملون لدى المالك هم وزوجاتهم وأبناؤهم واذا فكر أحدهم في ترك العمل وعمل في مكان آخر فان بمقدور صاحب الارض اعادته وسجنه وفقاً للقوانين، وكان عمال الخماسة يشكلون نسبة كبيرة من الشعب[2].أما الصناعات فكانت متدهورة وهي عبارة عن صناعات صغيرة في دكاكين، وكانت متخلفة ومع مجيء الصناعات الفرنسية الحديثة دمرت هذه الصناعات، ويرى الطاهر الحداد[3]ان الحل هو في تكاتف أصحاب هذه المصانع وتكوين تعاونيات تضم

(1) حسين كروم، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، مجلة قضايا عربية، العدد 2، السنة الخامسة،(بيروت، 1978)، ص 95.

(2 كروم)، المصدر نفسه، ص96.

(3) الطاهر الحداد:ولد سنة 1899 بحامة قابس (جنوب تونس) ونشأ في عائلة متواضعة وحصل على شهادة التطويع من الزيتونة ودرس الحقوق مدة سنتين ومارس العمل الوطني منذ شبابه وانخرط في الحزب الحر الدستوري سنة 1920.كان رفيق محمد علي الحامي، واشترك معه في تكوين (جمعية التعاون الاقتصادي) 1924، وأسس مع محمد علي جامعة عموم العملة التونسية .اختلف مع قيادة الحزب الدستوري لموقفه من النقابة العمالية ومحاكمة النقابيين عام 1925 وعدم جديتها في الدفاع عن القضية الوطنية، وظل بقية حياته مناضلاً بالقلم والفكر في سبيل خدمة التحرر الوطني والاجتماعي.للتفاصيل أنظر: عبد الرزاق الحمامي، المرأة في مشروع الحداثة التونسي، مجلة أفكار، مجلة فكرية الكترونية،.www.google. com .

جهودهم في مشاريع ضخمة، ولكنهم يتميـزون بالانانيـة والرغبـة في التفـرد، ولهـذا فشـلوا في تطـوير صناعاتهم واكتفوا بتوجيه الشتائم الى الذين يقبلون على شراء المنتجات الاجنبية1.أما العمليات المالية فكان يسيطر عليها اليهود، وبالتالي تمكنوا من السيطرة على عملية الاقتراض والقيام ((بالربا))والهيمنة على التصدير والاستيراد[2].

في القرى والارياف أدت العادات دوراً كبـيراً في منـع تـراكم رؤوس الامـوال، فـالفلاح لم يعـرف الادخار واذا جاء المحصول وفيراً فهو لايـدخر للايـام الصـعبة وانمـا يصرـف مايربحـه في اقامـة الـولائم وزيارة الاضرحة، وكان أهل المدينة يشمئزون من أهل الريف ويصـفونهم بالخشـونة، في المقابـل كـان اهل الريف يحتـقرون ليونة أهل المدينة. وزادت حدة الفقر والتعاسة واتسعت البطالة، حتـى تمكـن المستعمر من أن يستخدم ما يشاء من العمال وبـأي أجـر يريـد، وذلـك بسـبب فقـدان روح التعـاون والعمل الجماعي فضلاً عـن الهجـرة مـن الريـف الى المدينـة، فكـان معظمهـم فلاحـين أو بـدو، وهـم يشكلون جمهوراً كبيراً وخاملاً حيث الفقر والمواسم الرديئة والافـات الطبيعيـة ومضـايقة كبـار المـلاك تدفعهم الى ترك قراهم والهجرة الى المدن أو العمل في مزارع المستعمرين الفرنسيين، فضلاً عن الجهـل وانتشار الامية، اذ يذكر ايفانوف: ((أن نسبة من يعرف الكتابة والقراءة هو 2% في سنة 1924))[3].

أما تشريعات العمل فقد كانت بدائية اذ وضع في العشرـين مـن نيسـان/1920 قـانون يتعلـق بعطلة نهاية الاسبوع. وفي 15/آذار/1921 وضع قانون يتعلق بحوادث العمل، وعلى الرغم من تواضع هذه التـشريعات فقد كان أمر تنفيذها يتوقف كلياً على مواقف

(1) السلامي البدوي، مفهوم الامة في نضال الطبقة العاملة التونسية، مجلة دراسات عربية، العـدد 6، السـنة التاسـعة، (بيروت،1973)، ص 65؛ كروم، مصدر سابق، ص96.

(2) التيموري، مصدر سابق، ص47

(3) ايفانوف، مصدر سابق، ص67.

أرباب العمل اذ لم توجد بعد محاكم للفصل بين العمال وأصحاب العمل، فقد كانت السلطات الفرنسية ترفض حق العمال في التجمع ضمن النقابات، وهكذا فانها تحرمهم من أهم سلاح في الدفاع عن مصالحهم الطبقية والدليل على هذا مقولة جوهو: ((ان الاعتراف بالحق النقابي هو الشرط الضروري لتقدم أي تشريع اجتماعي))[1]، مع ملاحظة أن النقابات كانت تنشأ من دون تخويل قانوني.

كان العمال التونسيون في العهد الاستعماري عرضة لاستغلال الرأسماليين الاجانب، كذلك منافسة اليد العاملة الاوربية التي هي أكثر دراية بالتقنيات العصرية، فضلاً عن أنها تحضى برعاية السلطات الفرنسية التي تفضلها على التونسيين، لذلك كانت نسبتهم قليلة في المشاغل العمومية، وكذلك في قطاع النقل الذي غالبية عماله من الفرنسيين والايطاليين، فكان العامل التونسي عرضة الى تناقضين الاول مع الرأسماليين الاجانب والثاني مع العمال الاوربيين المقيمين في تونس الذين يغلقون أمامه آفاق العمل أو على الاقل آفاق الترقية [2]، وتفاقمت هذه التناقضات من جراء سياسة التمييز التي سلكتها سلطات الحماية والشركات الاستعمارية على مستوى الاجور.

كما زاد في حدة منافسة اليد العاملة الاجنبية، الازمة الاقتصادية وغلاء المعيشة اللذان استفحلا بالبلاد التونسية سنة 1924، اذ تأثرت الزراعة بسبب الجفاف، اذ تذكر احصائيات عام 1923 وعام 1924، تناقص محصول القمح من 2.700.0000 قتطار الى 1.091.429 قنطار، والشعير من 22.500.000 قنطار الى 550.000 قنطار وتأثرت الماشية بهذا الجفاف اذ تقلص عدد الاغنام عام 1919 وعام 1924 من 2.661.579 رأس الى 1.378.840 رأس أما الماعز من 1.660.621 رأس الى

(1) ايفانوف، المصدر نفسه، ص67-68.

(2) المحجوبي، الحركة الوطنية ص118.

797.970 رأس في المدة نفسها[1].وهذا انعكس على الصناعات المحلية التي نفقت سوقها الداخلية اثـر تدهور القدرة الشرائية للمزارعين ومربي الماشية، كما تـأثر القطـاع الاقتصـادي مـن المنافسـة الاجنبيـة التي تفاقمت سنة 1924، وكذلك من الانخفاض في صادراته، وهذه الازمة من شأنها أن تـنعكس عـلى العـمال التونسـيين الـذين هـم وفي هـذا الظـرف معرضـين الى انخفـاض أجـورهم مـع زيـادة البطالـة والمجاعة، واستفحلت هذه الحالة بالبلاد خاصـة في عـام 1924.اذ انخفضـت قيمـة العملـة مـن جـراء التضخم المالي فارتفعت الاسعار أكثر فأكثر، فبـين شـهر تمـوز 1923 وشـهر تشريـن الاول 1924 ارتفـع سعر الكيلو غرام الخبز من 1.10 فرنك الى 1.50 فرنك والكيلو غـرام سـميد مـن 1.25 فرنـك الى 2.10 فرنك والكيلو غرام سكر من 2.85 الى 3.10 فرنك والكيلو غرام لحم من 3 الى 6.50 فرنـك ولـتر زيـت الزيتون من 4.35 الى 6 فرنك[2].

ثانياً:بدايات الحركة العمالية والنقابية التونسية:

تأثر معظم السكان التونسيين من غـلاء المعيشـة في تلـك الظـروف القاسـية وانخفـاض الاجـور ومنافسة الايدي العاملة الاجنبية، فكانت بحاجة الى اطار نقابي وطني يـدافع عـنهم وعـن مصـالحهم، وظل هذا الاتجاه ينمو في البلاد حتى عاد محمد علي الحامي(1891-1928) [3]، مـن بـرلين أوائـل اذار عام 1924 بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه في

(1) المصدر نفسه، ص119.

(2) المحجوبي، مصدر سابق، ص199.

(3) ولد محمد علي في الجنوب التونسي، تعلم العربية في الكتـاب، ثـم عمـل حـمالاً في الاسـواق المركزيـة بالعاصـمة، استطاع أن يتعلم تصليح السيارات ويحصل على رخصة لقيادتها، وكان أول عربي في تونس يحصـل عـلى مثـل تلـك الرخصة في تللك الفترة. حيث كان هذا العمل تحتكره الجاليات الاوربية

الاقتصاد السياسي. ويعد مجيئه البداية الحقيقية لمرحلة جديدة في تاريخ الحركة العمالية والحركة النقابية، فمحمد علي جاء وفي رأسه أفكار عديدة عن اقامة مشروعات تعاونية لتحقيق النهضة الاقتصادية والاجتماعية، وبدأت الدعوة لتأسيس (جمعية التعاون

وخاصة الايطالية منها، ثم أصبح سائقاً عند قنصل النمسا في تونس، وتلقى حينذاك أصول اللغة الالمانية، وفي عام1911 قاد محمد على شاحنة محملة بالمؤونة أرسلتها حركة الشباب التونسي، الى الجيوش التركية التي تخوض آنذاك حرباً ضد ايطاليا بطرابلس الغرب. وفي مدينة طرابلس الغرب عمل سائقاً عند ضابط تركي اسمه أنور باشا عام 1912، الذي عاد معه الى استنبول بعد الحرب الليبية الايطالية فتعلم محمد علي التركية. وعند انتهاء الحرب العالمية الاولى عام 1918، رافق أنور باشا الى المانيا واستقر في برلين حيث عمل في مصنع للسيارات والطائرات واستطاع أن يدرس الاجانب اللغة العربية الى جانب عمله حتى حصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي.فلم تشغله دروسه ولا عمله عن التفكير في مستقبل أمته مع الشباب المتنورين، فصادف وجوده في المانيا الزعيم علي باش حانبه، فتوطدت الصداقة بينهما وطفقا يبحثان الحلول الكفيلة بانقاذ الوطن من جموده وتخلفه عن ركب الحضارة. وفي أوائل آذار من عام 1924 عاد محمد علي الى تونس حيث= =عمل في بداية الامر على تأسيس تعاضدية تجارية لتمكين العمال من اقتناء المواد الاساسية بأسعار معقولة،(أي سوق مدعومة لمساعدة العمال) تحت أسم ((جمعية التعاون الاقتصادي التونسي)).للتفصيل أنظر المصادر الاتية: -الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830- 1956، ب.م،، ط1(1976)، ص43-44؛ احمد خالد، الطاهر الحداد والبيئة التونسية في الثلث الاول من القرن العشرين، الدار التونسية للنشر،(تونس،1967)، ص140؛ نحلة مصدر سابق، ص97؛ المحجوبي، الحركة الوطنية، ص12؛ طوبال، البديل، ص25؛ الشريف، أضواء على تاريخ تونس، ص244.

الاقتصادي التونسي)[1]. وقد اجتمع كل من الطيب مصطفى ومحمود بورقيبة وعثمان الكعاك في قاعة الجمعية الخلدونية، وبعد سماع الخطب التي ألقاها الطاهر الحداد والطاهر صفر ومحمد علي تمت المصادقة على قانون الجمعية في التاسع والعشرين من حزيران 1924 وبعد أسبوع أي السادس من تموز، أسست لجنة لجمع التبرعات ولجنة أخرى للاشراف رأسها محمد علي، ثم انطلق أعضاء الجمعية لبث الدعاية لها وشرح أهدافها ومبادئها، فأقامت اجتماعات ومهرجانات خطابية في جميع أنحاء تونس وقام محمد علي الحامي(القابسي) ورفاقه بالقاء الخطب حتى يذكر أن الحبيب بورقيبة زعيم الحزب الحر الدستوري الجديد فيما بعد قد وصفها في مقولته: ((ان خطاباته كانت تؤثر بقوة لصدق لهجته ووضوح طرحه وعمق نظره))[2].وقد لقيت قبولاً من الناس والعمال و أدت الى تحولات كبيرة في جهود محمد علي في تأسيس الحركة النقابية.اذ يذكر الطاهر الحداد : ((منذ اليوم الاول الذي جاء به محمد علي ونحن نتفاوض ونبحث عن عمل اقتصادي عام الفائدة، يكون مطابقاً لاستعداد الامة في ماليتها وأفكارها، فلقد جاءنا لاول مرة بأفكار

---

(1) بعد اعداد مسودة القانون الاساسي انعقدت عدة اجتماعات مع المواطنين لمناقشة فصول القانون : كان الاجتماع الاول في مقر الجمعية الخيرية الاسلامية بنهج الحجامين، وكان الاجتماع الثاني يوم 29/ حزيران /1924 في قاعة الجمعية الخلدونية، وكان الاجتماع الثالث في مسرح كاملة الذي وقعت المصادقة على مسودة القانون وانتخاب هيئة وقتية لمباشرة الاعمال في 6 تموز برئاسة محمد علي. لم ينجح هذا المشروع بسبب الاضرابات التي شملت قطاعات عديدة منها اضراب رصيف العاصمة وبنزرت ولم يكن للعمال التونسيين نقابات ينضوون تحت لوائها فوقعت حوادث دامية ذهب ضحيتها عدد كبير منهم .للمزيد أنظر المصادر التالية : كروم، مصدر سابق، ص97؛ المحجوبي، الحركة الوطنية، ص121؛ نحلة، مصدر سابق، ص97-98؛ عبد الله، مصدر سابق، ص206

(2) شبكة حسن نت، .www.alqanat.com

لاتتسع لها البلاد، فارتأى تأسيس شركات تعاونية زراعية وصناعية وتجارية ومالية، في أهم نقط المملكة يكون على رأسها الشبان الوطنيون الذين يتفقون في روح الاخلاص والغاية، ليمكن تحضير هذه الجمعيات المستغلة بقوة نموها التدريجي الى الانضمام لبعضها فتشكل ادارة عامة تنظر في التوازن العام بينها وتسييرها لغاية متفقة))[1].

ويجب التنويه هنا أن الصناعات التونسية كانت تعتمد على الدكاكين (الاماكن أو المحلات الصغيرة) التي يعمل منها العمال، وكان هؤلاء العمال فيها حالة استدانة دائمة من أصحابها من خلال اعطاء أصحاب الدكاكين الاجور مقدماً، حتى يظل العمال في حالة دين لهم، ولهذا لم تكن هناك مشاركة نقابية لمحدودية أعداد العمال وانفصالهم عن بعضهم، وقد حدث الاشتراك بعد الاحتلال الفرنسي، عندما أقام المستعمرون الفرنسيون عدداً من المشاريع والصناعات الكبيرة التي استخدموا فيها أعداداً كبيرة من العمال باجور زهيدة وكان يعمل في هذه المصانع عمال فرنسيون واوربيون يتقاضون أجوراً أعلى من التونسيين (كما موضح في جدول -2-)[2].وحينما جاء العمال الفرنسيون سارعوا الى تكوين نقابات لهم، وانشاء اتحاد في تونس ضم اليه العمال الاوربيين وكان يتبع الاتحاد العام الفرنسي (C.G.T) [3]، الذي يسيطر عليه الاشتراكيون. ولم تعارضهم السلطات الموجودة وبدأوا

(1) الطاهر الحداد، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، الدار التونسية للنشر،(تونس، 1974)، ص16.

(2) ولا يجب أن ننسى أن الحركات العمالية في اوربا حققت نجاحات كبيرة في نضالها النقابي وحصلت بمقتضى ذلك على الكثير من المكاسب من أصحاب رؤوس الاموال مثل حق الاضراب وزيادة الاجور والحصول على اجازات أو تعويض عند الاصابة في أثناء العمل.

(3) الC.G.T : وهي الاحرف الاولى لاتحاد العمل العام الفرنسي، وهو اتحاد اقليمي كان تحت قيادة الاشتراكيين اليمينيين بزعامة دوريل Durel ((Confederation Generale du Travail)).

في ممارسة الاضرابات فانضم على أثر ذلك العمال التونسيون الى هذه النقابات وشاركوا فيها وكانوا يحضرون المؤتمرات التي تلقى فيها الخطب الرنانة[1]، وأدى هذا بالتالي الى نمو وعي العمال التونسيين وتكونت لديهم فكرة عن العمل النقابي، ولاحظوا في الوقت نفسه التفرقة التي كانت تحدث بينهم وبين العمال الاوربيين من الاتحاد العام الفرنسي الذي لم يكن يهتم كثيراً في الاخذ بيد التونسيين المشاركين في الاضراب وتوزيع الاعانات عليهم على الرغم من تركيزه على الاممية ونبذ الروح الوطنية.وكانت النتيجة أن كثيراً من العمال بدأوا ينسحبون من النقابات بالتدريج وأسس بعضهم جمعيات أو صناديق تعاونية، كما فعل عمال السكك الحديد عندما أسسوا ((جمعية الاتفاق الودادي))[2].وأسس عمال التبغ التونسيين نقابة لهم، لان عمال التبغ الفرنسيين كانوا يرفضون انضمام العمال المسلمين اليهم، وعندما أصدرت السلطات الفرنسية قانون التجنيس بدأ العمال الفرنسيون يحرضون العمال التونسيين على طلب التجنيس حتى يضمنوا حماية النقابات لهم[3]، فقد كان الاوربيون يشكلون القاعدة العريضة التابعة للاتحاد العام الفرنسي، التي تركز نشاطها على الدفاع عن مصالحهم، كما كانت تبرز سياسة التمييز في الاجور بدعوة أن حاجيات العمال الاجانب الاوربيين تفوق حاجيات التونسيين، ثم أنه ليس للاخرين الحق باالاضطلاع بمسؤوليات على مستوى القيادة في هذه النقابات، فلكل ذلك كانت تبعية العمال التونسيين للمنظمة العمالية الفرنسية فقد احتوتهم وهضمت حقوقهم ولم تسمع صوتهم[4]، لذا كان لابد من ايجاد اتحاد أو جامعة تضمهم وتهتم بشؤونهم حيث تتساوى فيها الاجور والحقوق، وكتب

(1) كروم، مصدر سابق، ص98.
(2) ابراهيم، مصدر سابق، ص50.
(3) كروم، مصدر سابق، ص98.
(4) المحجوبي، الحركة الوطنية، ص120.

فرحات حشاد في هذا الصدد عن مفهوم محمد علي للعمل النقابي، اذ قال: ((يكاد يطابق مع طبيعة بلادنا وانشطتها ومواردها.بلد فلاحي وحرفي أكثر منه صناعي، فالحركة النقابية التي كان يحلم بها محمد علي تعتمد أساساً على النظام التعاضدي في الانتاج والاستهلاك))[1].

وجد العمال ضالتهم في أفكار محمد علي الذي أسس في البداية(جمعية التعاون الاقتصادي) التي لم يقدر لها أن تستمر، بسبب انهماكه في حركة الاعتصامات التي بدأها العمال التونسيون في ميناء تونس في منتصف شهر آب من عام 1924 ثم انتشرت حتى عمت قسماً كبيراً من العمال التونسيين، و كان محمد علي ينظم الصفوف وينبه العمال الى السياسة الاستعمارية تجاههم، ويحث الشعب على مساعدة المعتصمين في محنتهم، ولما انتهت حركة الاعتصام، وبعد أن نال العمال معظم مطالبهم نشط (الحامي) في تنظيم الصفوف وتأسيس نقابات عمالية تسهر على مصالح العمال وترعاهم [2]، واهتم محمد علي في تطوير حياة العمال من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لما لمسه من الاوضاع السيئة التي يعانيها العمال، وشعر أنه لابد من العمل ضمن برنامج سياسي اجتماعي واضح بدلاً من (الحركات العفوية) التي لايرافقها توجيه وتنظيم دقيق في أكثر الاحيان.ويقصد هنا بالحركات العفوية هي التي كان يقوم بها العمال من خلال الاضراب والاحتجاج، وقد انتهت هذه الاضرابات الى الفشل بين الاعوام 1920-1923 كما مبين في الجدول -2-[3]

(1) مالكي، مصدر سابق، ص358.
(2) عبدالله، مصدر سابق، ص206.
(3) ايفانوف، مصدر سابق، ص71.

عدد الموظفين	عدد المؤسسات التي شملها الاضراب	عدد الاضرابات	الاعوام
5520	9	6	1920
2254	101	6	1921
1593	248	9	1922
1227	25	6	1923

أكد محمد علي ضرورة وجود تماسك اجتماعي واغناء الافكار السياسية التـي تعمـل عـلى وفـق مخطط و تصور شامل لجميع مشاكل الشعب ضمن وحدة لاتتجـزأ، حيـث بـدأ الحـامي نشـاطه مـن خلال زياراته للعمال في مراكز أعمالهم وأماكن وجودهم وقام بتنظيم الاجتماعـات العامـة والتحـدث اليهم موضحاً الاخطار التي قد تلحق بهم وبكـل الجماهـير الشـعبية هادفـاً تـوعيتهم وانقـاذهم مـن الاوضاع الفاسدة نتيجة سيطرة السلطات الحاكمة واسـتغلالها لجهـودهم[1]، سـاعياً الى تعزيـز فكرتـه بايجاد تنظيمات نقابية تقوم بتنظـيم شـؤونهم واصـلاح حيـاتهم السياسـية والاقتصـادية الاجتماعيـة، واستمر يقوم بهذه النشاطات مع بعض زملائه مثل الطاهر الحداد، وانتهـت جهـوده بوصـول العـمال الى قناعة بتـشكيل جمعيات تعاونية اقتصادية في أنحاء القطر كافـة، عـلى أن يـتم توحيـدها لتكـوين قيادة مشتركة قادرة على تحقيق طموحهم الاساسي في اقامة مجتمع اشتراكي تعاوني تعتمد قيادته على المعرفة في تسيير شؤون الجمعية وما ينبثـق عنها من مؤسسات [2].

وفي بداية عام 1924 أسسـت نقابـة مـاطر، اذ كـان العـمال ببلـدة مـاطر مثـل غـيرهم عرضـة للاستبداد والارهاق من المستعمرين الاوربيين الذين اكتسحوا الاراضي الزراعية

(1) نحلة، مصدر سابق، ص98.
(2) مؤسسة الثقافة العمالية، الحركة النقابية العربية، ب.م، (بغداد، 1976)، ص134.

بشتى أنواع الطرق وسخروا أصحابها ومالكيها لخدمتها بأجور قليلة [1].وفكر بعضهم للخروج من هذا البؤس والشقاء بتأسيس النقابة، وكان عملها في البداية متخفياً عن أنظار السلطة ولما اشتد ساعدها والتف حولها العمال لم تتخل عن الدفاع عن العمال الضعفاء للابتعاد عن أذى أصحاب رؤوس الاموال والمستوطنين، وقامت بحملات توعية للنهوض اجتماعياً في صفوف العمال، لكن هذه النقابة لم تسلم من مناورات بعض المستوطنين الذين تحالفوا مع الشرطة بقصد ارهابهم وبث الرعب في قلوبهم، لكن تلك المواقف لم تزد العمال الا ثباتاً والتحاماً [2].

أصبح عمال تونس قوة كبيرة ومؤثرة في النضال ضد المستعمر، فتقدموا بمطاليب متعددة مثل زيادة الاجرة اليومية من 12 فرنكاً الى 24 فرنكاً بلا فرق عن عمال رصيف مارسيليا وزيادة 50% في أيام الاعياد وزيادة 38% في خدمة الليل ودفع 4.5 فرنك للساعة الواحد الزائدة عن قانون 8 ساعات في اليوم[3]، فتجاهلت السلطات الفرنسية هذه المطاليب، وكان يوم العمال المشهود في يوم الثالث عشر من أب 1924 (واستمر حتى أيلول من السنة نفسها) حيث أعلن الاضراب العام، وحدثت في أثناء الاضراب اتصالات بين العمال ومحمد علي ورفاقه، فقام بالاشراف على الاضراب وتنظيمه، فكان يزور المضربين ويزودهم بتوجيهاته التي يجب اتباعها حتى لايقعوا في أخطاء تعطي

(1) الشريف، مصدر سابق، ص234.

(2) الحداد، مصدر سابق، ص18.

(3) تنبغي الاشارة هنا الى رداءة الوضع الاجتماعي وغلاء المعيشة التي أصابت البلاد التونسية من عام 1923- 1924 من جراء الجفاف الذي أصابها .

لخصومهم (العمال الاوربيين) فرصة للاضرار بهم، وتبصيرهم بأقصر الطرق للوصول الى حل مرض لطلباتهم[1].

كان أهم تطور وأخطره في الموقف كله، قيام محمد علي ومجموعة من رفاقه وعلى رأسهم الطاهر الحداد، بتكوين لجنة لمساعدة المضربين وشن حملة كبيرة في تونس لضمان تأييد الشعب للعمال وجمع التبرعات لضمان صمودهم، فقد حدث تجاوب شعبي كبير، لكن مع الاسف لم يكن كافياً لاعانة المضربين الا أنهم مع كل ذلك صمدوا.ويرى الطاهر الحداد أن هذه الحادثة جعلت العمال يدركون أهمية وفوائد تأسيس النقابات وفوائدها فهي توفر المال للمضربين [2].وقد تعرضت لجنة الاضراب لحملة معادية من الصحافة التي طالبت بارسال الجيش الى الميناء من أجل فك الاضراب، وفي نيسان رفضت لجنة الاضراب وساطة شيخ المدينة، وفي 28 من الشهر نفسه نظمت مظاهرة احتجاجاً على تشغيل البدو الذين جيء بهم لكسر الاضراب، وخلال الاصطدام مع البوليس جرح ثلاثة من العمال المتظاهرين [3]، لكن هناك مصادر أخرى تذكر عملية الاضراب وتصفها بعدم التنظيم والتنسيق اذ تذكر ان محمد علي سارع وأفاد من هذا المؤشر الذي دلل على امكانية نجاح فكرته (انشاء نقابات عمالية) وتحويل هذه الحركة من حركة اقتصادية اجتماعية لتنظيم حياة العمال ورفع مستواهم المعاشي، الى حركة سياسية غايتها الخلاص من الاستعمار وصيانة

(1) ايفانوف، مصدر سابق، ص74.

(2) الحداد، مصدر سابق، ص84.

(3) حاولت الشركات اضعاف موقف المضربين باستجلاب غيرهم للقيام بالعمل، ولكن محاولاتهم لم تؤد الى نتيجة نظراً لدقة تنظيم الاضراب، وكان العمال يذهبون الى الميناء للاشراف على ضمان استمرار الاضراب ولم يكن البوليس يعترضهم في البداية، لكنه بدأ يضايقهم ويتدخل بشكل واضح لصالح الشركات واعتدى عليهم فحدث اشتباك بين الطرفين، أنظر:كروم، مصدر سابق، ص99.

كرامة الانسان في وطنه (المستقل) وايمانه بتاريخ أمته وتراثه الحضاري، وعلى هذا الاساس يصبح الاعتصام ذا معنى انساني وليس مجرد شغب وتمرد وحب للفوضى[1]، بل هو موقف جريء يعبر به العامل عن انسانيته ويحاول نزع القيود التي تكبله ويبرهن على قدرته في صنع تاريخه.

وكان العمال يخطبون في الشوارع، وعلى الرغم من تزايد الضغوط عليهم فقد ثبتوا في مواقفهم، وقد طلب مدير المحافظة أن يرسل العمال اثنين للتفاوض، فاختار العمال محمد الخياري وحمزة الزغواني ووصل معها عدد من المضربين، وعرض عليهم مدير المحافظة زيادة الاجر فرنكاً واحداً، فرد الخياري بالرفض ووعد بالرجوع الى زملائه، لكن مدير المحافظة أمر باعتقال الاثنين وأمر باعتقال العمال الموجودين بالخارج وأخذ يرغبهم في العمل والعودة اليه، ثم حصل على توقيعاتهم ثم أحضر الخياري والزغواني وأطلعهما على امضاءات العمال وأنذرهما بأنهما سيكونان سبب رفض أي استئناف للعمل، فوافقا بصفتهما الشخصية ولكنهما قالا : (بأنهما سيعرضان الامر على زملائهما)[2]، كان هذا يوم 5 أيلول، وفي اليوم التالي اجتمعت لجنة العمل التي شكلها العمال المضربون مع لجنة المساعدة التي شكلها الحامي للتضامن مع العمال واتفقوا على فك الاضراب[3]، في حين اتسعت حركة الاضراب اتساعاً كبيراً في مناطق أخرى مثل بنزرت، ففي الخامس عشر من أب 1924

---

(1) صدقي اسماعيل، محمد علي القابسي مؤسس النقابات التونسية،، ب.م،(دمشق، 1955)، ص13؛. نحلة، مصدر سابق، ص99؛ والطاهر الحداد، المصدر السابق، ص27.

(2) كروم، مصدر سابق، ص99.

(3) أجبر العمال على فك الاضراب، لشدة الحاجة والجوع نظراً لان المساعدة المالية في أواخر أيام الاضراب أخذت بالنقصان، كما ان العمال لم تكن لهم نقابة مؤسسة من قبل، وأعلنوا فك الاضراب بدءاً من يوم 7 أيلول، كروم، المصدر نفسه، ص99.

اعتـقلت سلطات الاحتلال محمد الخميري أمين فرع النقابات في بنزرت، وفي المساء تجمع حشد غفـير أمام بناية محافظ الشرطة، فـتكلم الخطبـاء مـن الفرنسـيين والتونسـيين ودعـوا المتظـاهرين الى عـدم التـفرق قبل اطلاق سراح رفيقهم، وفي تلك الاثـناء أطلق البوليس مع مجموعة من الجنود السـنغاليين النار على مجموعة مـن المتظـاهرين فأسـفرت النتيجـة عـن مقتـل عامـل وجـرح سـتة وطـرد محمـد الخميري من تونس[1].

وكانت النتيجة التي تمخض عنها الاضراب لاتتلاءم مـع حجـم الطلبـات التـي تــقدموا بهـا ولا التضحيات التي قاموا بها، لكن الاضراب كان مهماً في مسيرة الحركة العمالية وتاريخهـا، فلقـد أدى الى التحام العمال بالنخبة المفكرة ونزول العمال الى الشوارع والقاء الخطب، وقيام محمد عـلي وأصـحابه بالدعاية وتكتيل الشعب وراءهم مما أثار حمية بـاقي العـمال في أنحـاء الـبلاد فجـاءت وفـود أخـرى شاركت العمال المضربين واجتمعت مع محمد علي لتستهدي بارائه، اذ يذكر الطاهر الحداد ((مـا كـان ينتـشر خبر اعتصام الرصيف بتونس حتى كان كجذوة امتد لهيبها في مدينة بنـزرت ونواحيهـا وجـدير بهذه الاعتصامات أن تنسب الى المدينة كلها اذ شملت معظـم الاشـغال بهـا وبالجهـات القريبـة))[2]. والجدير بالذكر أن الاعتصام الاخير كان بداية لحياة جديدة، بسبب وجود طائفة من المفكرين (محمد علي- والطاهر الحداد – وآخرين) التحمت بالمعتصمين لتطالب بحقوقهم[3]، فضلاً

(1) واثر حادثة مدينة بنزرت التي وقعت يوم 11/ ايلول /1924 وسقط فيها المرحوم العربي الكـومي، الـذي هـو أول شهيد في الكفاح العمالي التونسي نتيجة، ما أبداه (كمبالة) مدير الشرطة الفرنسي من تعسف وطيش وسوء تـدبير، الشريف، أضواء على تاريخ تونس، ص380.

(2) الحداد، مصدر سابق، ص58 ؛حسين كروم، مؤسس الحركة النقابية في تونس، مجلة قضايا عربية، العدد الخـامس، السنة التاسعة،(بيروت، 1981)، ص71.

(3) خالد، مصدر سابق، ص150-151.

عن استعداد أولئك العمال وبأسهم، حيث عملت النخبة المفكرة بربطهم بعامة الشعب بحسن الدعاية النشيطة التي أستعملت في ايجاد التضامن والشعور الاعم الذي يضم الشعب بأجمعه، فأقبل الكثير من الناس في المعتصمين وتعارفوا واجتمعوا بهم، وكان ذلك مداً كبيراً للمعتصمين سد كثيراً مما ينقصهم من الاستعداد والتأهب للاعتصام، فدبت فيهم روح الحياة وأدركوا أن قوة هائلة كانت محجوبة عنهم، فزادهم ذلك ايماناً بحقهم وقوة عزمهم فجاعوا وصبروا وأوذوا في اعتصامهم وما انحلوا[1].واستمروا في اضرابهم وتظاهراتهم وملأوا الشوارع وطرقات العاصمة بمشهدهم المؤثر، وخطبوا الخطب الحماسية بأصوات عالية أمام الاعوان والجنود وعلى مسمع منهم، وأعطوا بذلك مثلاً للارادة والتمسك بالحق لولا العناد البالغ والتعصب في جانب معارضيهم، وكانت حركة الاضرابات قد تركزت في العاصمة تونس وفي بنزرت وهي في مجملها حركة عفوية ينقصها التنظيم الجيد، اذ لم يكن للعمال منظمة خاصة بهم كما حالت خيانة قيادة الاتحاد العام للعمال الفرنسي- دون مساعدتهم بشكل فعال [2]. في هذه الظروف ادرك محمد علي ورفاقه ضرورة استقلالية العمال وتنظيمهم، لهذا السبب قرروا تغيير برنامجهم في (جمعية التعاون الاقتصادي) الى تأسيس نقابات للعمال التونسيين.

ان الحالة التي عاشها العمال دعت الى التضامن، لان العمال هم في أسوأ الحالات واشدها خطورة لما قاسوه من الاضطهاد المستمر بمقتضى أنظمة الحكومة والقرارات الخفية التي تلزم بها السلطة أولئك الموظفين في اسعاف أرباب المزارع من المستوطنين الاوربيين ومدهم بما يحتاجون اليه من اليد العاملة المقترنة بصنوف الارهاق وأفانين

(1)المصدر نفسه، ص151.

(2) ايفانوف، مصدر سابق، ص75.

التسخير[1]. وقد تنبه عمال ماطر الى ضرورة تأليف نقابة كانت الوحيدة في هذا الباب فأفادتهم فوائد جمة من جراء التضامن والتكاتف الى تأييد المصلحة المشتركة[2].

أدرك محمد علي ورفاقه من جهة أخرى، ضرورة استقلالية الفئات الزراعية (الفلاحية) وتنظيمها، فولدت حركة تكوين النقابات الوطنية وانتشرت خلال موجة الاضرابات، فكانت أول نقابة تونسية تم تكوينها لعمال الرصيف المضربين، كما تكونت لجنة دعاية نقابية برئاسة محمد علي ولها حق المراقبة والارشاد على أعمال النقابات بصفة عمومية حرصاً على تسيير هذا المشروع الى النجاح بالتعاون والاشتراك في العمل، وفي بنزرت بدأ العمال المضربون يشكلون نقابات لهم فأسسوا نقابة اصلاح المراسي ونقابة لعمال السميد ونقابة سيدي عبدالله بفريفيل ونقابة عمال معمل الاجر بمنطقة (منزل جميل) ونقابة لعمال فك البواخر[3].

وفي العاصمة انتشرت الحركة النقابية بسرعة أيضاً، فتأسست عدة نقابات لعمال شركة السكك الحديدية التونسية، ولسوق الحبوب، ومعامل الدقيق ولنسيج الحرير، والبرانسيه، ومعمل الجير والسيمان بحمام الانف، وعمال الترام، وقد وصفها الحداد بأنها: (كانت على قدر الحال والممكن حين وجودها لتتدرج الى النمو والرقي في تطبيق الانظمة وترتيب الاعمال النقابية)[4].وأخيراً تكون اتحاد يجمع هذه النقابات ببنزرت، كان كاتبه الاول محمد الخميري ثم خلفه الطاهر بن سالم، وفي بلدة ماطر تشكلت نقابة واحدة تنسب

---

(1) الشريف، أضواء على تاريخ تونس، ص240-241.

(2) المصدر نفسه، ص341.

(3) كروم، مصدر سابق، ص101؛الشريف، مايجب أن يعرف، ص144.

(4) الحداد، مصدر سابق، ص59.

للبلد وكان هذا رأي العمال بها فوافقتهم لجنة الدعاية النقابية، وهذه النقابات بدأ تاسيسها بين أول تشرين الاول وجزء من كانون الاول عام 1924[1].

ان انتشار الحركة النقابية للعمال التونسيين أقض مضاجع الاستعماريين، وربما كان سبب ذلك لان الشيوعيين أعطوا دعمهم لمحمد علي وأتباعه من العمال والتنظيمات النقابية، فقاموا بدعاية قوية ونشطة لصالح المضربين من خلال طرح شعار (العداء للامبريالية)ومطالبتهم باعادة الارض الى الفلاحين ((تونس للفلاحين والعمال وليست للفرنسيين))، ولم يكتف الشيوعيون بذلك بل تحدوا تخاذل النقابات الفرنسية في أكثر من مناسبة[2]، يشهد بذلك اسهاماتهم الفعلية في حركات الاضرابات، وهناك احتمال آخر هو أن الكثير من الاضرابات كانت نتيجة مبادراتهم، كما كان الشيوعيون على رأس انتخابات الهيئة النقابية.

لم تحمل السلطات الفرنسية محمد علي وحده مسؤولية اضرابات عام 1924 و ألقت تبعتها أيضاً على الشيوعيين. وهناك في الحقيقة صراع بين تيارين مختلفين تمثل الاول بالنقابات الفرنسية اذ كانت تحبذ بقاء العمال التونسيين داخل النقابات الفرنسية حتى لايؤدي انفصالهم الى تفتيت أو تقسيم جهود العمال بشكل عام ولانه دليل على ما يسمونه الوحدة الاممية[3]، كذلك اتهم الفرنسيون، العمال التونسيين بقولهم ان انشاء نقابات تونسية مستقلة وتأسيسها دليل على (التعصب الديني) وهذا التيار ينادي به اتحاد النقابات الفرنسي وأيده بعض التونسيين الذين أسهموا بنشاط في حركة الاضرابات. أما التيار الاخر فكان يتزعمه الحامي الذي أيده أغلب العمال اذ كان يرى وجوب اقامة نقابات

(1) كروم، مصدر سابق، ص101.
(2) اضرابات جبل خروبة في ايلول 1924، واضرابات برج السدرية كانون الثاني 1925.
(3) كروم، مصدر سابق، ص77.

خاصة تونسية بعيدة عن اتحاد النقابات الفرنسية مع احتفاظهم بعلاقات أممية مع العمال الاجانب وعدم قبول الاتهام الذي يصف العمال التونسيين (بالتعصب الديني)، حيث دخل الحامي ودوريل في مناقشات[1]، اذ قال دوريل: ((ان تأسيس النقابات التونسية يقسم العمل الى شطرين أمام قوة المال المتحد ولاشيء يوجب هذا الانقسام ما دامت فوارق الاديان و الاجناس معدومة في المبادى النقابية ولا أفهم هنا شيئاً سوى أن التعصب الديني أو الملي هو الذي منعكم من الانضمام الينا)) فأجابه محمد علي بقوله: ((انني لا أنظر الى فكرة العملة المنفصلين عنكم ولا الى الماضي المؤلم الذي كان لهم وانما أجيبك عن مسألة الانقسام الذي ثقل حمله عليك :انه لايمنعكم شيء من الانخراط في النقابة التونسية ما دامت تشكيلاتها ستنخرط في العالمية طبق مبادى العملة وكما هو موجود عند عملة العالم أجمع، وعندئذ يمكن اتقاء الانقسام الذي تخشون شره، على أن النظام النقابي خاضع في كل بلاد العالم لنظام الشعوب، فكل أمة تشكل في أرضها نظاماً كاملاً.ثم ينضم للعالمية. ولماذا لاتعتبر تونس شعباً من الشعوب كما هي في الواقع مادامت لم تكن تراباً فرنسياً، وعندها يكون اجتماعنا شيئاً واحداً. ولا أرى ما يمنعكم من ذلك الا اذا كانت صفة (حماية) تأبى عليكم التنازل لنا، واعتبارنا مثلكم في الانسانية.أما التخصص في النقابة وفي الصناعات الذي تقول يادوريل: انه مفقود في الاهالي، فاني بدون أن أعارضكم هنا، أرى أن أمثالكم حينما تنضمون الينا يوجد هذا التخصص الناقص وهل نحن الا عملة كلنا شيء واحد، ونرقى بمعاضدة بعضنا لبعض ولا أرى معنى لكلمة: أنتم ونحن بين أناس عملة))[2].

(1) دوريل: وهو أستاذ في معهد كارنو وكاتب اتحاد النقابات الفرنسية .

(2) وكان يتبنى رأي دوريل أحمد بن ميلاد سكرتير نقابة السراجين والمختار العياري وكان الاثنان على الرغم من انضمامهما الى لجنة الدعاية التي يترأسها محمد علي من أنصار الاندماج في الاتحاد الفرنسي

انعقد اجتماع في الثالث من تشرين الثاني 1924 للمندوبين النقابيين وتمت خلاله المصادقة على النظام الداخلي للجامعة النقابية وقد سميت (بجامعة عموم العملة التونسية)، وشكل مكتبها التنفيذي كما يأتي: محمد علي كاتب عام، وابراهيم عمر مساعد، ومحمد بن قدور أمين مال، والبشير بن محمد مساعده، أما لجنة الدعاية، فقد تكونت من المختار أبن الحاج بلقاسم ومحمود الكبادي ومحمد الغنوشي والطاهر بن علي والبشير بن محمد الفالح، أما لجنة الرقابة فقد تكونت من أحمد بن عبد الرحمن ومحمد الخياري والطاهر عجم ومحمد الدخلاوي، وقد حرر قانون الجامعة النقابية الاساسي المتكون من 30 فصلاً[1]، اذ حددت أهدافها وضبط اختصاصاتها ثم تقرر وضع شعار للمنظمة فوق بطاقة العضوية يشير الى اشراق عهد جديد في الحياة الطبقة العاملة، وقد سبق لمحمد علي أن وضع في جولاته داخل تونس مبشراً بزوال (الظلام) الذي كان مسيطراً على نفسية العامل التونسي ومعلناً عزم جامعة عموم العملة التونسية على ((انتشال النفسية العمالية)) من الضياع والتشتت[2].

وكانا يخطبان في العمال بهذا المعنى وفي أثناء اضرابات بنزرت .كانت لجنة الدعاية قد عرفت باسم= =جامعة عموم العملة التونسية .للمزيد أنظر: كروم، مصدر سابق، ص78؛ الشريف، أضواء على تاريخ تونس، ص24؛ الحداد، المصدر السابق، ص126.

(1) بنود قانون جامعة عموم العملة التونسية، وثائق أساسية، الجمهورية التونسية، الوزارة الاولى، الارشيف الوطني التونسي، www.archives.net.tn .

(2) الشريف، أضواء على تاريخ تونس، ص253؛ ايفانوف، مصدر سابق، ص77؛ ابراهيم، مصدر سابق، ص51؛المحجوبي، الحركة الوطنية، ص124.

ثالثاً:الصراع النقابي الفرنسي- التونسي:

بدأ اتحاد العمال الفرنسيـ (C.G.T) في التحرك ضد العمال التونسيين عبر جريدته الناطقة بالفرنسية في تونس (تونس الاشتراكية) فشن حملة شديدة ضد مشروع تأسيس اتحاد نقابات تونسيـ ووصفته الجريدة بأنه مشروع((ملي اسلامي)) سيقضي على وحدة الطبقة العاملة، واتهمت القائمين به بأنهم يريدون أن يمارسوا دوراً سياسياً تحت اسم العمال والنقابات، لكن الحقيقة أن النقابة التونسية نادت بمطاليب مشروعة منها المساواة في الاجور ونددت بالامتيازات التي يتمتع بها العمال الاوربيون المقيمون في تونس والتي تقررها النقابات الفرنسية[1]، ومهما يكن من أمر فان اتحاد النقابات الفرنسية من شأنه أن يدعم سياسة القمع والمناورات التي مارستها الحماية تجاه النقابة التونسية الفتية [2].

في وسط هذه الضجة حيث تأسيس جامعة عموم العملة التونسية، قدم الى تونس جوهو،(بعد أن اشتد جزع اتحاد النقابات الفرنسية لا بتونس فحسب بل بفرنسا نفسها)، في الرابع والعشرين من تشرين الاول 1924 للتعرف على حقيقة الوضع الجديد اثر انتشار النقابات التونسية في شتى القطاعات، وكان جوهو على موعد في 31 من الشهر نفسه في قاعة بورصة الشغل بنهج الجزيرة مع العمال التونسيين وقادتهم في اجتماع مهم

(1) المحجوبي، الحركة الوطنية، ص125.

(2) يشير الكتاب الى الدور الاجتماعي الذي مارسه محمد علي ورفاقه لتجاوز الصراع الطبقي وتوحيده في مواجهة الاستعمار اذ أكد ايفانوف بقوله ((ظل محمد علي متماسكاً لغاية توليه قيادة الحركة بجوهر مفاهيمه القديمة وتظهر لنا المفارقة الصارخة التي كان عليها موقفه حيث كان ينكر في المجال النظري ضرورة الصراع الطبقي بل كان يعتقد بأن تجديد المجتمع يقوم على تحالف جميع طبقات الامة)) ايفانوف، مصدر سابق، ص76.

دعت اليه لجنة الدعاية وترأسه محمد علي وتولى كتابة الجلسة أحمد توفيق المدني وكان الطاهر الحداد والمختار العياري من ضمن الهيئة المشرفة على تنظيم الاجتماع الذي حضره صالح فرحات وعبد القادر هلال والدالي يحيى المعلم بالمعهد العلوي.وحضر الى جانب جوهو، دوريل وبعض رفاقه في الاتحادية الفرنسية للشغل[1].

ويذكر ايفانوف أن جوهو كان على اتصال وثيق مع رئيس الاتحاد(C.G.T) ادوارد هيرو وحكومته، اذ أثارت حوادث تونس هلع الاوساط المسؤولة في باريس، فقد رأى هيرو في محمد علي قائداً وطنياً تونسياً كما رأى في الحركة التي يقودها تهديداً للمواقع الفرنسية بتونس [2].

افتتح محمد علي الجلسة مخاطباً الحاضرين باللغة العربية قائلاً : ((بأنه لا مانع لديه من الانضمام الى جمعيته مع الاوربيين)) و استعرض الوضع العمالي التونسي- قبل الاضرابات الاخيرة والنتائج الاليمة التي تمخضت عن ذلك كما حمل المسؤولية سلطة الحماية، وبعد ذلك قام جوهو بالقاء كلمته وخلاصتها : ((بأنه يجب أن نتحد ولا نتفرق وأنه ليس هناك حاجة لمنظمة أخرى...))فما كان من المختار العياري الا أن قاطعه قائلاً بأن المنظمة الفرنسية لاتهتم الا بمصالح الفرنسيين والايطاليين والاوربيين بصورة عامة، وتهمل مصالح العمال التونسيين وخاصة قضايا عمال البريد والسكة الحديدية.كما تضمنت كلمته ضرورة اقامة منظمة شغيلة تونسية وطنية لانها وحدها القادرة على التحكم في مستقبل العمال في تونس وتقرير مصيرهم. وجاء ايضاً في كلمته الحديث عن النتائج السلبية

(1) الشريف، المصدر نفسه، ص246.

(2) لقد صرح هيرو حول مهمة ارسال جوهو الى تونس قائلاً: ((طلبت منه المساعدة في سبيل تطبيق برنامج نقابي بحت لا برنامج سياسي يتستر وراء برنامج نقابي))انظر: Annales de la chambre des deputes, Debats parlementaires session 1,25 ×p.868. 1,25 paris 1

لاستملاك الايطاليين لاخصب الاراضي وما أدى اليه ذلك، من فقر وتعاسة للشعب التونسي، وقد هاجم أحد الشبان التونسيين ويدعى (ابن كرم) تصرفات دوريل وما كان على دوريل وجوهو الا أن غادرا القاعة للموقف الصريح والمحرج لكليهما من قبل المختار العياري[1]، وقال جوهو كلمته الشهيرة ((سأتي بعد سنة لارى أنكم لاتنجحون أبداً)).

غادر جوهو تونس في السادس من تشرين الثاني/1924 بعد ان قام بجولة دعائية لمدة يومين من دون أية نتيجة اذ رفض العمال التونسيون الانضمام الى الاتحاد النقابي الفرنسي، وبعد عودته الى باريس شارك في اللجنة الاستشارية التي تشكلت من أجل بحث الوضع في تونس لايجاد الوسائل اللازمة لحل المشاكل اذ صرح هيرو في أثناء مداولات مجلس النواب الفرنسي، في دورته المنعقدة في 20-28/ كانون الثاني /1925. بأن اللجنة والحكومة مستمرتان في دراسة المسألة وشمول التشريعات الفرنسية المتعلقة بالحريات النقابية وجعلها تنسحب من تونس، فرفض رئيس الحكومة الفرنسية اعتبار محمد علي زعيماً نقابياً لتونس ورفض أي تعامل معه[2]. وشعرت السلطات الفرنسية بخطر((جامعة عموم العملة التونسية))لاعتمادها على القوة الشعبية المتجاوبة معها، وقدرتها على تعبئتها[3]، وبعد تأسيس النقابة ولضمان أوضاع العمال في حالة حدوث مشاكل عمالية والدفاع عن حقوق العمال تقرر وضع محامين أكفاء يوجدون داخل المنظمة النقابية، وجعل العمال موحدين داخل نقابتهم من خلال احساسهم بأنهم قوة لاتقهر[4].

(1) الشريف، أضواء على تاريخ تونس، ص247.

(2) سالم بو يحيى،" تاريخ الحركة العمالية في تونس 1881-1939"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 15-16، السنة السادسة، (تونس،1979)، ص 66-70 ؛ ايفانوف، مصدر سابق، ص77.

(3) الشريف، أضواء على تاريخ تونس، ص253-256؛ بن عامر، مصدر سابق، ص409.

(4) المصدر نفسه، ص253-256؛ مصدر سابق، ص409.

استمر انتشار النقابات وأصبح محمد علي مركز الارتباط بين هذه النقابات الى أن بدأت مرحلة جديدة من أعماله التي كانت أكثر تأثيراً من المراحل التي سبقتها اذ توجه الى الشعب يحثهم على تنظيم أنفسهم في مؤسسات ونقابات والعمل على تغيير واقعهم الاجتماعي والسياسي في آن واحد، وهذا ماجعل السلطات الفرنسية تخشى هذه الحركة لابل تحاربها بكل الوسائل الممكنة، حيث قام محمد علي بالعمل على ربط هذه الحركة العمالية ليس فقط بالقضايا الاجتماعية بل بالسياسية والوطنية بمقاومة الاستعمار[1].

وفي الحقيقة أراد محمد علي أن يجمع الجماهير العاملة لا بتونس وحسب بل في الوطن العربي والدول العربية والافريقية [2]. اذ تجاوز النظرة الاقليمية وقام بالاتصال مع الليبيين والجزائريين ودعاهم للقيام بالاعمال المماثلة تمهيداً لربطهم بالحركة العمالية التي يناضل من خلالها [3].ولم يقف قادة اتحاد النقابات الفرنسية ضد محمد علي ومحاولاته لتأسيس جامعة عمالية تونسية بل هيرو وحكومته اذ وقفوا موقفاً سلبياً فيما يتصل بالحركة العمالية التونسية وطالبوا باتزال أشد العقاب ((بالمشاغب)) محمد علي[4].

وازدادت مقاومة فرنسا للجامعة التونسية ففي كانون الثاني 1925 عقدت اللجنة التنفيذية للجامعة اجتماعاً للنظر في سير الجامعة وما يلزمها، وقد وقف محمد علي خطيباً،

---

(1) نحلة، مصدر سابق، ص100.

(5) Moncer Roanissi, populationet looiete on loghsch ceae Mrrolution, Tunis, 1977,p.76.

(3) اسماعيل، مصدر سابق، ص64.

(4) قاسم زغير كاظم، " الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد ودوره السياسي في تونس بين عامي 1922-1956"، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الاداب جامعة البصرة،(البصرة، 1984)، ص113-114.، ايفانوف، مصدر سابق، ص77.

وما أن أتم خطابه حتى اقتحم جولينوا كمبالة رئيس الشرطة قاعة الاجتماع وأمر العمال أن يتفرقوا فرفضوا[1]، كذلك دعا رئيس الشرطة كمبالة محمد علي واتهمه باستخدام الدين وآيات من القرآن الكريم لاثارة حماس العمال في منطقة الملتوي وقد أعلمه كمبالة أن أرض تونس تابعة للتراب الفرنسي وأمره بالتخلي عن جامعة عموم العملة التونسية والالتحاق باتحاد النقابات الفرنسية اذ قال صراحة ((من المستحيل أن تسمح فرنسا بوجود مؤسسات هي في الحقيقة مناورات سياسية تتجه لمصادرة النفوذ الفرنسي وكما قلت لكم، لايوجد هنا شيء واحد هو انضمامكم للاتحادية الفرنسية))[2]. أثار تصريح كمبالة، العمال التونسيين، وتأزم الوضع في شركة الجير والسيمان بحمام الانف اذ أعلنوا الاضراب في التاسع عشر من كانون الثاني 1925، ثم انتقل الاضراب الى عمال السدرية، وكان أعضاء الجامعة يترددون على المعتصمين ويمدونهم بالمساعدة[3].ونتيجة لذلك تحركت السلطات الفرنسية للسيطرة على الوضع، فألقت القبض على الطاهر بن سالم ورفاقه، وحكمت على الدخلاوي بالبراءة وعلى أخيه محمد الطاهر بن سالم بعشرة شهور سجناً وابعاده سنتين، فأخفقت بذلك حركة الاضراب في حمام الانف، اذ عاد العمال الى عملهم، وتم في يوم الخامس من شباط 1925 ايقاف محمد علي والمختار العياري ومعهما فندوري(ممثل الحزب الشيوعي في تونس) بتهمة التآمر على أمن الدولة، ويذكر أحمد خالد في تعليقه على هذه الحادثة :هي حيلة من السلطات الاستعمارية لاظهار تواطؤ جامعة العملة التونسية مع الحزب الشيوعي ولهذا اوقف مع محمد علي الحامي ومحمد الغنوشي، وبهذا ضربت المحاولة النقابية الاولى في تونس

(1) خالد، المصدر نفسه، ص159.

(2)الشريف، مصدر سابق، ص258

(3)عبدالله، الحركة الوطنية، ص209-212؛ خالد، مصدر سابق،159؛الشريف، أضواء على تاريخ تونس، ص261.

وقد استطاع الحامي وللمرة الاولى أن ينظم العمال ويقودهم في نضال اجتماعي واقتصادي وطني في الدفاع عن حقوقهم المشروعة [1].

رابعاً:نهاية جامعة عموم العملة التونسية (الاولى):

قبل الحديث عن أسباب نهاية جامعة عموم العملة التونسية، يجب التذكير بالقيادات التي وقفت بجانب محمد علي وجامعته العمالية، فالحزب الشيوعي الفرنسي هو الذي دعم تكوين نقابة تونسية، فقد أضرب عمال مرسيليا في آب 1924 تضامناً مع عمال تونس وقد أصدر اتحاد الشيوعيين بياناً احتج فيه على اطلاق النار على عمال بنزرت في العاشر من ايلول 1924، كذلك عندما اعتلى برتون [2] النائب الشيوعي في تونس اذ قال مقولته الشهيرة ((بمقتضى معاهدتي باردو والمرسى ليس هناك سوى حق واحد لفرنسا بتونس هو حقها في الرحيل)) [3]، وقد أدان برتون محاولات فرنسا ضرب الحركة العمالية التونسية، حتى ان الصحف الفرنسية الاستعمارية أكدت ذلك، فقد اتهمت الصحف الفرنسية، مثل الدبيش كولونيال، و الطان، وهي، الحركة العمالية التونسية بالشيوعية[4]. كذلك وقف الى جانب محمد علي العديد من أعضاء الحزب الدستوري التونسي أمثال الحبيب بورقيبة وشقيقه محمد والبحري قيفة والطاهر صفر ومحمود الماطري، لانهم امضوا مع دوريل في الثاني والعشرين من شباط 1925 نصاً تضمن دعوة العملة التونسيين الى الانضمام الى

(1) خالد، مصدر سابق، ص159.
(2) برتون: هو نائب الحزب الشيوعي في تونس وقد اعتلى منصبه 1920-1932، وقد دافع هذا الشخص عن النقابة التونسية، ايفانوف، مصدر سابق، ص78.
(3) ايفانوف، مصدر نفسه، ص78.
(4) خالد، مصدر سابق، ص162-163.

الجامعة العامة للشغالين الفرنسية وكان من بين الموقعين على هذا النص أيضاً العديد من الشخصيات الوطنية مثل أحمد الصافي وحسن فلاتي وصالح فرحات وعبد الرحمن اللزام والبشير العنابي ومحي الدين القليبي والطاهر التوكابري ومحمد الجعايبي ومحمد شنيق وأحمد توفيق المدني وبو بكر ترممش وعبد الرحمن الكعاك والطيب الجمل والشاذلي القسطلي ومحمد صالح فتاش وهؤلاء كانوا منضمين الى الاحزاب الوطنية التونسية مثل الحزب الاصلاحي والحزب الدستوري والمجلس الكبير[1].

أجمل محمد يوسف نحلة، ثلاثة أسباب لنهاية جامعة عموم العملة التونسية الاول : السلطات الفرنسية، والثاني: النقابات الفرنسية، أما الاخير فالوطنيون أنفسهم[2]، وفيما يتعلق بالسبب الاخير، فقد كان مصير الجامعة النقابية يتوقف على الحزب الحر الدستوري التونسي- الذي تمتع في سنتي 1924-1925 بنفوذ كبير بين جماهير تونس، لكن قيادة الحزب كانت معادية لمحمد علي[3]. فاستفاد من هذا العداء المقيم الفرنسي العام لوسيان سان فقام بعزل الحركة العمالية عن قيادة الحزب الحر الدستوري الذي لم يلبث أن نشرت جريدته ليبرال في السابع من شباط 1925 ((ان الحركة العمالية التي يتزعمها محمد علي لاتربطها أي علاقة بالحركة الدستورية))[4].وبهذا الموقف فقدت المنظمة العمالية الوطنية،

---

(1) خالد، مصدر سابق، ص163.

(2) نحلة، مصدر سابق، ص101.

(3) لانهم في الحقيقة من البرجوازيين فضلاً عن ابتعادهم عن حياة العمال فأراد الدستوريون استخدام العمال ورقة يساومون بها السلطات الفرنسية، ولكن أفكار محمد علي حالت دون ذلك، فقد استطاع تنظيمهم أن يجعلهم قوة تدافع عن حقوقهم وفي الوقت نفسه رأى في هذه الحركة خصماً قد يسد الطريق أمامهم ويعزلهم عن القضية الوطنية للمزيد أنظر: خالد، مصدر سابق، ص165.

(4) ايفانوف، مصدر سابق، ص78.

سنداً سياسياً وطنياً ممهدة للسلطات الفرنسية بأن تتخذ موقفاً مضاداً لها ولقائدها، وهكذا أصبحت الارضية مهيئة للسلطات الفرنسية في تسديد الضربة القاضية للحركة العمالية فاتهمت محمد علي بالتأمر على أمن الدولة وقامت باعتقال رفاقه وتقديمهم الى المحاكمة.

خامساً:أوضاع الحركة العمالية التونسية حتى عام1945:

الفكرة لاتموت [1]، كان الشعب التونسي وخاصة العمال يناضل ضد الاستعمار الفرنسي من أجل الحرية والاستقلال الوطني والاجتماعي والاقتصادي ولاغرابة في مثل هذا الوضع أن ينضم العمال التونسيون الى نقابة وطنية تسهر على مصالحهم وأن يكافحوا من أجل بقائها أو اعادة الحياة اليها.

وعلى الرغم من استمرار النضال العمالي فقد بقيت الحركة النقابية معطلة من (1925-1932) نتيجة التأمر الذي جمع بين الاستعمار (والبرجوازية الوطنية)، لكن هذا التأمر لم يبق طويلاً، فقد اعترفت السلطات الفرنسية بمقتضى مرسوم الثامن عشر من تشرين الثاني 1932 بترخيص العمل النقابي في تونس [2].

وتذكر المصادر التاريخية أن الحبيب بورقيبة أحد الاعضاء البارزين في الحزب الدستوري وقف الى جانب فكرة انشاء نقابات عمالية تونسية، اذ جند العمال الذين كانوا قد انضموا الى الحزب الشيوعي الفرنسي عن طريق اللجنة العاملة للعمال [3]، في محاولة

(1) يذكر ان شعار فرحات حشاد " الحركة النقابية حركة مستمرة وفكرة لاتموت، ابداً الى الامام، انظر: عبد الله، الحركة الوطنية، ص208-217.

(2) محمد عبد العزيز الجوادي، أثر التحولات السياسية في البناء الاجتماعي في تونس، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية،(بغداد،1982)، ص51-52؛ ابراهيم، مصدر سابق، ص51.

(3) يحيى، مصدر سابق، ص669-700.

انشاء نقابة عمالية خاصة بهم في تونس، اذ حاول بورقيبة تكتيل الجهود الوطنية لدعم الحركة العمالية وان كانت علاقة الحزب أو المكتب السياسي بنقابات العمال ستعمد فيما بعد الى محاولة السيطرة على هؤلاء العمال من الناحية السياسية والتنظيم في أول الامر، ثم الافادة منهم باسم الحزب الدستوري بعد عام 1934 عندما حصل الانشقاق وأصبح هناك الحزب الحرالدستوري الجديد والقديم.

ألقت السلطات الفرنسية عام 1934 القبض على بورقيبة زعيم الحزب الدستوري الجديد ونفته خارج البلاد، ومع مجيء حكومة الجبهة الشعبية عام 1936-1937 ووصول الاشتراكي الفرنسي-ليون بلوم الى الحكم فقد سلك سياسة جديدة في تونس، فقام بالافراج عن المحكومين السياسيين وعن جماعة محمد علي وعادوا من منفاهم، لتأسيس منظمة عمالية على غرار الجامعة الاولى، فانتهز علي القروي فرصة الاجتماع العام الذي نظمه التجمع الشعبيفي الرابع عشر من حزيران 1936 للاعلان عن احياء جامعة عموم العملة التونسية (الثانية)[1].

وهناك عدة ظروف جاءت مجتمعة لتعيد احياء جامعة عموم العملة التونسية الثانية منها: صدور مرسوم الباي في الثامن عشر من تشرين الثاني 1932الذي يسمح بحرية العمل النقابي، وصعود الجبهة الشعبية الى السلطة في فرنسا عام 1936، مما أتاح هامشاً من الحريات للمطالبة بتعميم الامتيازات التي حظيت بها الطبقة العاملة بفرنسا، على عموم العمال بالمستعمرات الفرنسية، فضلاً عن حركات الاحتجاج السياسي التي عمت القطر التونسي في سنوات 1936-1938 والتي تجلت نقابياً في موجات الاضراب في العديد من

(1) هو الاجتماع الذي نظمته المنظمات اليسارية المساندة للجبهة الشعبية الفرنسية في الرابع من حزيران/ 1936.

مؤسسات الانتاج وصل عددها الى 21.000 مضرباً عام 1936 و26.000 مضرباً سنة 1937 [1].

أسس علي القروي في 21 تموز لعام 1936 بمعية محمد الغنوشي والطاهر بن سالم اللذين أسهما في تأسيس الجامعة الاولى، هيئة وقتية عملت على جلب العمال التونسيين خصوصاً في القطاعات التقليدية كالفلاحة (الزراعة) والصناعات الحرفية والبناء والموانئ والمناجم. وفي السابع من اذار 1937 أسست هيئة وقتية ثانية لوضع قانون أساسي للنقابة، والتحضير للمؤتمر التأسيسي وضمت الى جانب جماعة محمد علي عناصر أخرى من بينهم بلقاسم القناوي [2] الذي اسندت اليه الكتابة العامة.ومن الجدير بالذكر أن عام 1937 شهد موجة من الاضرابات اشتبك فيها العمال التونسيون مع رجال الامن الفرنسي ووقع فيها العديد من القتلى والجرحى [3]، وفي الوقت نفسه حضر عبد العزيز الثعالبي[4] أول

(1) مالكي، مصدر سابق، ص359.

(2) القناوي: هو عضو الحزب الدستوري الجديد، وهو من بلدة المطوية من الجنوب التونسي، وتذكر المصادر أنه تزعم الحركة النقابية الثانية، المصدر نفسه، ص360.

(3) يحيى، مصدر سابق، ص701.

(4) ولد الثعالبي في تونس عام 1874 لأب قدم من القطر الجزائري، تلقى علومه في جامع الزيتونة، وفي عام 1895 أصدر جريدة سبيل الرشاد ذات الاتجاه الديني والسياسي والادبي، وفي عام 1901 زار المشرق والتقى ببعض الشخصيات المهمة مثل الشيخ المفتي أمين الحسيني أصدر كتاب روح القرآن وأشرف على النشرة العربية لجريدة التونسي، وشارك في حركة تونس الفتاة، وأسس 1911 جريدة الاتحاد الاسلامي، وبعد معركة الزلاج، حكم عليه بالنفي خارج تونس، وفي 1919 أسس مع زعماء الحركة الوطنية الحزب الحر الدستوري وقام بأعمال وطنية كبيرة مما أدى أن تلاحقه السلطات الفرنسية حتى أجبرته على الرحيل 1923 وسافر الى المشرق وعاد الى تونس 1937، وبقى فيها حتى وفاته

زعيم للحزب لاحياء الحزب الحر الدستوري القديم، فما كان من العناصر الشابة الا أن عقدت مـؤتمراً لها وأعلنت تأييدها التام للحركات العمالية وتأييدها لانشاء نقابات عمالية تونسية، وعلى الـرغم مـن أن الثعالبي قام بمحاولات لتجميع القوى الوطنية في تونس الا ان هذه المحاولات باءت بالفشل[1].

استمرت اضرابات العمال في عدد من المناطق مثل اضراب مناجم الفوسـفات في الملتـوي الـذي أدى الى قتل 20 عاملاً يوم 4 -5 آذار 1937، وجرى اضراب اخر في ميناء تونس يوم الثامن عشر مـن حزيران 1937 حيث قتل أربعة عمال وأدى في الوقت نفسه الى رفض مساندة هذا الاضراب من بعـض عناصر الجامعة (علي القروي ومحمد بن سالم) مما أدى الى امتناع عناصر من الجامعة حضـور المـؤتمر التأسيسي لجامعة عمـوم العملـة التونسـية الثانيـة في الثـامن عشر مـن حزيـران 1937 مثـل محمـد الغنوشي ومحمد الصيد [2].

سادساً:نهاية الجامعة النقابية (الثانية):

الجامعة النقابية الثانية لم تستمر طويلاً على الرغم من انضمام (45)نقابة عمالية تونسية اليها، وكان ذلك بسبب وجود تناقضات بين عناصرها، كذلك اتهمت الجامعة التونسية

1945، وله كتب مثل تونس الشهيدة، وروح القرآن ومذكرات حياته، وله مخطوطات تتحدث حـول زياراتـه للمشرق. نحلة، مصدر سابق، ص55.

(1) لان هذه التجربة عاشت الصراعات بين حزبي الدستور القديم والجديد، وانعكاس ذلك عـلى خيبـة آمـال الـوطنيين من حكومة الجبهة الشعبية اليسارية فتمزقت نتيجة هذه التناقضات عندما طلب الحزب الدستوري الجديـد مـن زعيمها القناوي أن يناصرهم فرفض معللاً ذلك بحياد العمل النقابي .أنظر ابراهيم، مصدر سابق، ص52.

(2) وهم اللذان برزا أيام محمد علي في التجربة النقابية الاولى.

من النقابية الفرنسية بتعاطي السياسة لصالح الحزب الحر الدستوري الجديد، وكـذلك تخـلي الحـزب الشيوعي الفرنسي عن دعم الجامعة الفتيـة، وهنـاك عـدة أسـباب تتعلـق بـالحزب الحـر الدسـتوري الجديد الذي لم يسـاند الجامعـة في البدايـة عنـدما تزعمهـا محمـود المـاطري، وعنـد مجـيء بلقاسـم القناوي[1].

تبنى الحزب الجديد النقابـة لكـن قـادة الحركـة النقابيـة لم يقبلـوا التـدخل المفـرط في شـؤون الجامعة من خلال عدم موافـقـتهم على اضراب منطقة بنزرت في الحادي والثلاثين من تمـوز 1937 ولم تؤازر الديوان السياسي للحزب ورفضت اضراب عشرـين تشرـين الثـاني 1937، وهـذا التصرـف منـاف للوحدة الوطنية، فقام الدستوريون باقتحام قاعة المؤتمر في التاسع والعشرون من كـانون الثـاني 1938 يتـقدمهم صالح بن يوسف والمنجي سليم وقاموا بانتخاب مكتب جديد للجامعـة أسـندت كتابتـه الى الهادي نويرة، بالمقابل عد بلقاسم القناوي هذا المكتب غير شرعي فانشقت النقابة[2].

وانتهى الامر بسلطات الحماية الفرنسية في الثالث مـن شـباط/1938 الى حـل النقابـات ومنـع عقد الاجتماعات، وأخيراً انتصرت هذه الجامعة في الكونفدرالية العامة للشـغل الفرنسـية اثـر اجـتماع بين بلقاسم قنـاوي والقـادة النقـابيين الفرنسـيين، فانتهـت هـذه التجربـة التونسـية الثانيـة في صـيف 1938بانضمامها الى الكونفدرالية العامة للشغل الفرنسية[3].

(1) وهو نفي مع جماعة الحزب الحر الدستوري الجديد الى برج بيف.
(2) المحجوبي، الحركة الوطنية، ص135-136.
(3) المصدر نفسه، ص136-137.

الغيت النقابات الوطنيةً سنة 1939 ندلاع الحرب العالمية الثانية، لكنها عادت وظهرت الى الوجود عام 1944 فقد كانت احدى مظاهر ذلك الصراع وركناً أساسياً من أركانه في تونس، فظهر ذلك من خلال اعتمادها على روح التعاون الذي غلب عليه الطابع السياسي والنضال الوطني والنفور من النقابات الاستعمارية التي كان يدعمها الوجود الاستعماري في تونس[1].

واخذت الحركة النقابية التونسية في عام 1944 تأخذ شكلاً وطنيا واضحاً وكان فرحات حشاد[2]، هو المحرك لهذه الحركة بعد أن تبين له ان الكونفدرالية العامة للشغل

(1) نحلة، مصدر سابق، ص153.

(2) فرحات حشاد ولد عام 1914 في قرية العباسية بجزيرة قرقنة في صفاقس، وهو منحدر من عائلة كانت تعيش على الصعيد السمك، وفي عامه الرابع عشر كان يعمل في ميناء صفاقس عامل رصيف، ثم أكمل دراسته الاعدادية، وعمل محصلاً لسيارات النقل التابعة للشركة التونسية للنقل، ثم أصبح محاسباً في احدى دوائر الشركة، فاهتم بعد ذلك باالامور النقابية فانضم الى نقابة شركة النقل في عام 1936 التابعة لل (C.G.T). وفي 1937 أصبح عضواً للاتحاد المحلي بسوسة، وقاد اضراب لعمال النقل في سوسة، حيث بدأ منذ هذا التاريخ يعمل على تكوين النقابات الوطنية المستقلة عن اتحاد النقابات الفرنسية، فانضم الى الحزب الدستوري الجديد، وفي عام 1944 واختير سكرتيراً عاماً لاتحاد النقابات في صفاقس.وقاد حملة واسعة طالب فيها بالانفصال عن النقابات الفرنسية، واستمرت حملته في النهاية الى تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل في كانون الثاني1946، وأصبح سكرتيراً عاملاً فيها. للمزيد أنظر المصادر الاتية: خيرات البيضاوي، وميض النار في المغرب العربي، ب.م، (د.ت)، ص70؛ فرحات حشاد الحركة العمالية والنضال الوطني المبادى والابعاد، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، www.temimi.org، 2000؛ فرحات حشاد، الابعاد الدولية في نضال الحركة العمالية،www.friends.alsaha.com ؛ =Encqclopedie du nonde “EDMAD” “les

الفرنسية لم توف العمال العرب في تونس حقهم حيث أخرج فكرته الى حيز الوجود في مدينة صفاقس عاصمة الجنوب التونسي[1]، فقد عمل على ضم عمال صفاقس وقفصة وشكل ما يقارب 15 نقابة في السادس عشر من شباط 1944، و في الخامس من ايار 1945 تكون اتحاد النقابات المستقلة بالشمال وقدرت بحوالي 27 نقابة، وتم تأسيس 18 نقابة سميت (اتحاد نقابات الوسط)[2].

قرر حشاد أن تكون للنقابات التونسية استقلاليتها عن النقابات الفرنسية وكان مقتنعاً بأن العمال لايمكن أن ينالوا حقوقهم الا بتحرير الوطن من المستعمر[3]، وأدرك الضرر الذي لحق بالعمال التونسيين من جراء خضوعهم للتنظيمات الفرنسية[4]، فالمستعمرون لهم غايات في بقاء احتلالهم للبلاد لتحقيق مصالحهم الاقتصادية التي تختلف بطبيعة الحال عن غايات العمال التونسيين في تحرير البلاد ورفع مستواهم والرقي لحياة أفضل لذلك اهتم بتوحيد النقابات المنتشرة في أنحاء القطر، ليجمعها بمنظمة مركزية واحدة، وفي الحقيقة تعرضت مبادرة حشاد الى انتقادات لاذعة حتى من بعض التونسيين

= INTERNATIONAL, FREE TRADE UNION, Tunisian Workers :انظر جريدة Arabes" ,paris, 1975.p164-165.
Resist Colonial ؛ عبد اللـه، مصدر سابق، ص288؛ عز الدين، مصدر سابق، ص395؛ ابراهيم، مصدر سابق، ص56؛ نحلة، مصدر سابق، ص154.

(1) عبد اللـه، المصدر نفسه، ص217-218.

(2) عبد اللـه، تاريخ الحركة النقابية، ص47.

(3) التميمي، مصدر سابق، ص36.

(4) الياس فرح، الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت،1975)ص98.

أنفسهم التابعين للنقابات الفرنسية، اذ صرح السعداوي وهو نقابي شيوعي، الذي وصف أعمال حشاد أنها تفرق العمال وأن أعماله تتم بتشجيع من الشركات الكبرى للنقل والمناجم، لكن حشاداً كان في بداية نشاطه فحاول أن يوفق بين المقتضيات الوطنية وعمله النقابي، اذ قال: ((ان مشاركتنا في الحركة النقابية الدولية تتطلب منا أن نعمل بقسط متواضع على بناء مستقبل السلم الزاهر والعدالة الاجتماعية كمنظمة صغيرة تكافح من أجل الحرية الحقيقية وذلك ضمن الاممية الكبرى للشغالين))[1].

كانت بداية الطريق نحو استقلالية الحركة النقابية للعمال التونسيين عندما قام حشاد بتأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل عام 1946[2]، فكانت البداية لظهور هذا التيار الاجتماعي السياسي الذي قدر له أن يؤدي دوراً فاعلاً في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تونس طوال عشر سنوات حتى الاستقلال عام 1956.

---

(1) ابراهيم، مصدر سابق، ص53.

(2) محمد مزالي، مواقف، الشركة التونسية للتوزيع، (تونس، 1973، ص54.

الفصل الثالث

الاتحاد العام التونسي للشغل

(1956-1946)

الفصل الثالث

الاتحاد العام التونسي للشغل

(1956-1946)

كان يوم 20 كانون الثاني 1946 مولد الاتحاد العام التونسي للشغل، على يد ثلة من العمال وفي مقدمتهم فرحات حشاد.لقد برز هذا الاتحاد في لحظة تاريخية كان فيها الشعب التونسي وخاصة العمال يستعدون لخوض معركة الاستقلال السياسي والاجتماعي، فكان الاتحاد رمزاً لهذا الوعي الوطني[1].

ان انبعاث الاتحاد في أعقاب الحرب العالمية الثانية مثل انعطافاً حاسماً في الوعي العمالي والشعبي ، اذ استخلص فرحات حشاد ورفاقه الدروس من التجارب والمحن السابقة [2]، لقد كانت الفكرة الوطنية هي القوة المحركة لبداية أو لميلاد الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي أيقن أن النضال الاجتماعي وحده لايكفي لتحقيق كرامة العمال التونسيين بل لابد من تعبئة قوة العمال ضمن تصور نضالي متأصل يضع القضية الوطنية في المرتبة الاولى بهدف دحر الاستعمار الفرنسي ونيل الاستقلال وارساء دولة تونسية تنعم بالحرية والسيادة الكاملة[3].

---

(1) بيان الاتحاد العام التونسي للشغل، بمناسبة الذكرة 58لتأسيسه،www.agtt.org ،(تونس، 2004).

(2) في مقدمتها تجربة، جامعة عموم العملة التونسية التي قادها المناضل محمد علي القابسي، الذي زرع بذور الحركة النقابية في تونس.

(3) عبد اللـه، الحركة الوطنية، ص218.

لقد شكل الاتحاد منذ نشـأته قـوة تنظيميـة وطنيـة حـرة تتـوافر لهـا شروط الاسـتـقلال عـن (الاتحادات العالمية والفرنسية) والاعتماد على الذات واستطاع أن يرتـقي بالكفاح الـوطني ، بـل وفـق في التعريف بالقضية الوطنية وكسـب الـدعم والانتصـار في السـاحتين الاوربيـة والامريكيـة والمحافـل الدولية.

أولاً:الهيكل التنظيمي للاتحاد العام التونسي للشغل:

تكونت هيكلية الاتحاد العام التونسي للشغل مما يأتي:

- المؤتمر الوطني:

يعد أعلى هيئة في الاتحاد، اذ يتألف من ممثلي جميع النقابات، ويجتمع كل سـنتين ليحاسـب الهيئة الادارية عن مدة سنتين عن ادارتها للاتحاد.

وهذا المؤتمر ينتخب تلك الهيئة ويخطط حركة العمل والكفاح[1].

- المجلس القومي:

وهو الهيئة الثانية في الاتحاد ويجتمع مرة كل ستة أشهر بشكل مؤتمر وطني، ويتألف المجلـس من ممثلي الاتحادات الجبهوية والمحلية والجامعات القوميـة، وتــقدم الهيئـة الاداريـة لهـذا المجلـس القومي تقارير عن سير نشاط الاتحادات[2].

---

(1) عبد الـلـه، مصدر سابق، ص19-220.

(2) المصدر نفسه، ص220-221.

- المكتب التـنفيذي:

وهو يتكون من 12 عضواً ترشحهم الهيئة الادارية، ومـن بـين واجباتـه تـنفيذ قـرارات الهيئـة الادارية، وتنفيذ جميع الاعمال الادارية اليومية للاتحاد وتنظيم اضرابات العمال.

- الاتحادات الجبهوية والجامعات القومية:

وهما اتحادان يليـان المكتـب التـنفيذي وتتفـرع عنهـا عـدة اتحـادات محليـة وعـدة نقابـات وجميعها ترتبط بالمكتب التـنفيذي.

وينقسم نظام الاتحاد العام التونسي للشغل الى سبعة اجزاء:-

1. **العضوية: اذ يعد الاتحاد كل عامل تونسي مـنظماً الى الاتحـاد مـن خـلال مشـاركته مـع اخوانه في معركة الحرية والاستـقلال[1].**
2. **النقابات: وتضم النقابات أصحاب الحرفة الواحدة أو العمل الواحـد الـذين يسـكنون في قرية أو مدينة واحدة وينتخـب أعضـاؤها هيئـة، تكـون حلقـة الوصـل بـين النقابـة و الاتحاد العام. وهي بطبيعة الحال أصغر مراتب تنظيم الاتحاد.**

---

(1) يعد الاتحاد كل شخص يعمل سواء بفكره أم بيده كأستاذ المدرسة أو الجامعـة أو العـمال أو الفراشـين كـل هـؤلاء يحق لهم الانخراط في صفوف الاتحاد من أكبر موظف الى أصغر موظف فيصبح كل عضو عاملاً فيه.

3. الجامعات: وهو التنظيم الثالث للاتحاد العام التونسي للشغل وسميت الجامعات لانها تجمع النقابات الصغيرة، وتشرف عليها وتدير شؤونها وتتكون من ممثلي النقابات[1].

4. الاتحاد الجبهوي: أطلقت هذه التسمية على كل اتحاد يعمل في التنظيم النقابي لكل مدينة في تونس، وهو تابع للاتحاد العام التونسي للشغل.

5. الهيئة الادارية : وهي التي تشرف على جميع أعمال الاتحاد وتنتخب أعضاءها من جميع الجامعات العمالية والاتحادات الجبهوية.

6. المكتب التنفيذي: وهو المسؤول عن تنفيذ قرارات الهيئة الادارية وأعضاؤه هم اعضاء الهيئة الادارية، والامين العام هو الذي ينسق أعمال الاتحاد[2].

7. المؤتمر: وهو المسؤول عن الاتحاد والمقرر لاتجاهاته العامة والمقرر لنظام الداخلي للاتحاد وينتخب أعضاؤه من النقابات، والمؤتمر ينتخب الهيئة الادارية.

---

(1) والجامعات هنا أنواع: مثل جامعة التعليم التي تضم جميع نقابات المعلمين والاساتذة، وجامعة الصحة، وجامعة الاشغال العامة، وجامعة المالية، وجامعة البريد، وهكذا...، وتشكل هذه الجامعات جامعة عالية تسمى الجامعة العامة عبد الله، مصدر سابق، ص222-223.

(2) وأول من انتخب للامانة العامة هو فرحات حشاد.

ثانياً:مبادئ الاتحاد العام التونسي للشغل:

تميز الاتحاد العام التونسي للشغل منذ البداية، بوطنية وجديته واخلاصه للقضية الوطنية عامة، ولقضية الحركة العمالية التونسية خاصة، من هنا جاءت مبادئه واضحة وصريحة في التعبير عن منطلقاته وأهدافه، وتمثلت هذه المبادئ بما يأتي:

- **الثورية: فقد كان شعار كل عضو من أعضاء الاتحاد متماسكاً به هو ((لاركود ولاخمول في المجتمع مادام المستعمر موجوداً))[1]، اذ كان العضو العامل بجانب نضاله في عمله يناضل من اجل استقلال بلاده.**
- **التنظيم: لقد سعى الاتحاد الى ايجاد وحدة بين جميع هيئات المنظمة لضمان تنفيذ الخطط المرسومة.**
- **العمل: لقد سعى الاتحاد الى العمل بشكل واع ومدروس الى تخليص العامل من كل استغلال قد يصيبه أو قد يضره.**
- **الوطنية: لقد امتاز قادة الاتحاد بالمستوى الفكري العالي في الميدان السياسي والاجتماعي، فمفهومهم الوطني متبلور تماماً للحركات النقابية وللاستعمار ووسائل التخلص منه[2].**

(1) عبدالله، مصدر سابق، ص 223-224.
(2) المصدر نفسه، ص224.

ثالثاً:الدور السياسي الوطني للاتحاد العام التونسي للشغل

ان الفكرة التـي نشـأ عليهـا الاتحـاد العـام التونسيـ للشـغل هـي فكـرة الاسـتقلالية النقابيـة والعمالية التي اندمجت فيما بعد بالاستقلالية للوطن التونسي ككل وعليه أصبح الاتحاد قوة فاعلة في الصراع الذي عاشته تونس، وكان في مقدمة القوة الاجتماعيـة والسياسـية الرافضـة للجمـود والتخلـف والطامح الى اقامـة مجتمـع تسـوده الحريـة والرفـاه الاجتماعـي، لـذا خـاض معركتـه الاسـتقلالية في الحصول على الحق النقابي وعارض بشدة المحاولات الرامية الى تهميشه من سلطات الاحتلال الفرنسي، شكل العمال مع الادباء والمفكرين قوة وطنية واحدة، حيث اجتمعوا ووحدوا كلمتهم في مـؤتمرهـم في شباط من عام 1945 وطالبوا بـالحكم الـذاتي للـبلاد التونسـية، ومـن ثـم في مطلـع العـام 1946 نشـأ الاتحاد العام التونسي للشغل[1].

حرص الاتحاد منذ تأسيسه على اقامة علاقات مـع كـل القـوى التـي تـشارك في حركـة التحـرر الوطني، وقد انضم اليه العديد من مناضلي الحزب الحر الدستوري القـديم والجديـد وأسـاتذة جـامع الزيتونة وغيرهم باستثناء الشيوعيين[2]، ولم يكتـف بذلك بل عرف منتسبيه

---

(1) عمر فروخ، وثبة المغرب، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،(بيروت،1961)، ص236.

(2) لقد تعرضت مبادرة حشاد في تكوين الاتحاد الى انتقادات لاذعة من بعض التونسيين التـابعين للنقابـات الفرنسـية، وقد صرح السعداوي وهو نقابي شيوعي بما مفاده أن اعمال حشاد هي تفريق للعمال .كـذلك يجـب أن نشـير الى سيطرة الشيوعيون على (C.G.T) سنة 1944، كذلك طالب الشيوعيون حشاداً بتمثيل العمال التونسيين بـدل عـن فرع الـ (C.G.T)، لكن حشاداً رفض على اعتبـار أن الاتحـاد يجـب أن يكـون تونسـياً، فـرد الشـيوعيون عـلى ذلـك وأنشأوا الاتحاد النقابي التونسي للعمال=

بأهمية التحرر الوطني، وظل يعمل من خلال هذا المفهوم حتى أصبحت الحركة النقابية قادرة على تغيير مجرى الاحداث في الثالث والعشرين من آب 1946 التي عدت أعظم خطوات الحركة الوطنية، اذ اجتمع ممثلو الاحزاب وخاصة الحزب الحر الدستوري القديم والحزب الحر الدستوري الجديد والاتحاد العام التونسي للشغل وأساتذة جامع الزيتونة واتحاد الموظفين واتحاد التجار وأرباب الصناعات وجمعية الفلاحين وجمعية الاطباء والصيادلة وجمعية المحامين التونسيين وجمعية المعلمين ونفر من الوزراء السابقين ومن أعضاء المجلس الكبير، حتى أن عدد الحاضرين فاق الـ700، وطرح المؤتمرون قضية الاستقلال الوطني التام، حيث جاء بيانه ((000لهذا كله فان المؤتمر التونسي يعلن أن نظام الحماية نظام سياسي واقتصادي لايتفق مع سيادة الشعب التونسي ومصالحه الحيوية، وان هذا النظام نظام استعماري قضى على نفسه أمام العالم بالاخفاق بعد تجربة خمس وستين سنة، كما يعلن عزم الشعب الثابت على استرداد استقلاله التام)) [1].

كانت اضرابات 1947 دليلاً على مسعى العمال والشعب التونسي الى تحقيق الاستقلال، فقد أعلن عمال معمل الجلد في مدينة صفاقس اضرابهم (للمطالبة بحقوقهم النقابية)، وقد أدى ذلك الى حدوث مواجهات دموية مع سلطات الاحتلال، ذهب

=وذلك لمنع الاتحاد العام التونسي للشغل من الانضمام الى المنظمة العالمية باعتبارها منظمة غير شرعية، لكن حشاداً تجاوز ذلك عام 1949 حيث تم قبوله في اتحاد النقابات العالمي.للمزيد انظر:مجلة البديل الشيوعي، العدد 14، www. Albadil.org، 2004. ؛ عبد السلام بن حميدة، النقابات والوعي القومي مثال تونس، مجلة المستقبل العربي، العدد 83،(بيروت،، 1986)، ص45؛ ابراهيم، مصدر سابق، ص54.

(1) فروخ، مصدر سابق، ص237.

ضحيتها العديد من العمال، فأثار ذلك حفيظة الفرنسيين الذين بدأو ينتبهون لهذه الحركة ويخططون لاضعافها والقضاء عليها والتخلص من قائدها[1]، غير أن السلطات الفرنسية لم تستطع اضعاف تلك الحركة او ابعادها عن اهدافها بل كانت حافزآ لمضاعفة نشاطها واخذت تعمل على تقوية تنظيماتها وترسيخ افكارها [2]، اذ تمكن فرحات حشاد من مواكبة تطور الظروف الموضوعية التي تساعد على تبلور الوعي الوطني، فكان لحشاد قناعة بوجود علاقة جدلية بين النضال النقابي والنشاط الوطني، ففي كانون الاول 1948 حمل حشاد الاستعمار مسؤولية كل المصائب التي تعاني منها البلاد، اذ صرح بقوله: ((انظروا الى ما حولكم تجدوا ايادي الاستعمار وراء أي نكبة من نكباتنا))[3].

ولم يكتف حشاد بترسيخ افكاره وارائه في تونس بل استطاع الحصول على اعتراف ((الاتحاد الدولي للنقابات الحرة)) SISL [4] وانتخب عضوآ باسم عمال تونس في المكتب التنفيذي لتلك المنظمة الدولية عام 1949 [5].وقد علل حشاد ذلك بقوله: ((هل يكون للعمل النقابي معنى بدون الضمانات الاساسية للحريات التي يطمح اليها كل رجال العالم؟ وهل يمكن تحقيق الانجازات الاجتماعية والاقتصادية لدى الشعب الذي لاينعم بخيرات

(1)عبدالله، تاريخ الحركة النقابية في تونس، ادار الطليعة،(بيروت،1974)، ص53؛ و العطار، مصدر سابق، ص133.

(2) نحلة، مصدر سابق، ص156.

(3) تقارير المؤتمر الوطني للاتحاد العام التونسي للشغل، 4/اذار/ 1951، ص49.

(4)وهي النقابات التي انشأها المعسكر الرأسمالي الامريكي في عام 1951 لمقاومة الاتحاد النقابي العالمي الذي كان يسيطر عليه الماركسيون، ايام الحرب الباردة بين المعسكر الغربي والشرقي.

(5) نحلة، مصدر سابق، ص157؛ و بن عامر، مصدر سابق، ص410؛ بن حميدة، مصدر سابق،45.

الديموقراطية؟ وكيف يمكن للحركة النقابية ان تتطور في بلد لايوجد فيه أية ضمانات للحريات الفردية والطبيعية))[1].

واتم خطواته بالانفصال عن الجامعة النقابية العالمية F.S.M وانخرط بالكنفدرالية العالمية للنقابات الحرة او الاتحاد الدولي للنقابات الحرة (SISL) التي تخضع لتأثير النقابات الامريكية[2].

أصبحت الحركة العمالية قادرة على الوقوف بوجه التحديات التي تواجهها، وغدا صوت العمال التونسيين عالياً معبراً عن تطلعاتهم الاساسية في استقلال البلاد وخروج المحتل الى جانب مطالبهم الاجتماعية، وهذا ما كان يظهر من خلال نشاط قائدها حشاد في الاجتماعات الدولية ودعوته باسم القضية التونسية للتحرر السياسي والاقتصادي مستنداً الى قوة الحركة النقابية التونسية لما لها من جماهير واسعة وتأثير قوي في الجو السياسي والاجتماعي[3].

قرر عمال شركة الفلاحين الفرنسية (بالنقيضة) وتحقيقاً للمطالب الوطنية والنقابية اعلان اضرابهم في تشرين الثاني من عام 1950 بسبب رفض الشركة الاستعمارية الاستجابة لمطالبهم، فقامت الاخيرة باستدعاء الشرطة والجيش، وحولت الاضراب الى مجزرة راح ضحيتها عشرات العمال، ولم تكتف السلطات الاستعمارية بما فعلته بالنقيضة، بل امتدت يدها الى سوق الخميس وزغوان فواجهت اضرابات العمال هناك بقمع وحشي

(1) عبد السلام بن حميدة، النقابات والوعي القومي مثال تونس، مقالة من كتاب تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1968)ص245

(2) مجلة البديل الشيوعي، مصدر سابق، ص3-4.

(3) نحلة، مصدر سابق، ص157.

حيث سقط العديد من الشهداء العمال تحت ضربات المستعمرين [1]، وقد صرح حشاد في المؤتمر الوطني الرابع للاتحاد المنعقد في اذار 1951 بقوله: ((سيصبح النضال النقابي متصلآ اكثر فأكثر بالنضال الوطني الذي تخوضه الشعوب ضد كل نزاعات الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية))[2].

كان لتطورات الاحداث وقع عنيف في نفوس الفرنسيين الذين شعروا بالخطر يومآ بعد يوم بسبب الاضرابات التي وقعت في صفاقس وسوق الخميس وبنزرت والنقيضة وجبل الرصاص والسرد وسوق الاربعاء[3]، وكذلك رفض حشاد مقابلة مبعوث الرئيس الفرنسي- ديغول[4].ويبدو ان هذا التدرج وافق تطور الوعي الوطني للاعداد الكبيرة (من العمال والموظفين)التي انضمت للاتحاد العام التونسي للشغل، اذ وجد فيه العامل او الموظف التونسي المدافع عن البلاد وعن دينها ولغتها، فكان الاتحاد خير ناطق عن المصالح المادية والمعنوية، فما كان من الموظفين او العمال الا ان طبقوا أوامر الاتحاد ورفعوا شعاراته ليدعموا بذلك حركة التحرر الوطني، اذ اقتنعوا بتصريحات حشاد الذي قال: ((ان سعادة الطبقة الشغيلة مقترنة بسعادة الوطن وبراحته، ولايمكن تحقيق الازدهار الاجتماعي تحت نفوذ النظم الاستعمارية وضغطها على الطبقة العاملة))[5].

---

(1) عبد الله، الحركة الوطنية، ص228.

(2) بن حميدة، مصدر سابق، ص45.

(3) ابراهيم، مصدر سابق، ص55؛ ونحلة، مصدر سابق، ص158.

(4) وكذلك فشل المفاوضات بين حكومة محمد شنيق والحكومة الفرنسية في كانون الاول 1951.

(5) تقرير المؤتمر الوطني للاتحاد العام التونسي للشغل، مصدر سابق، ص49.

تبع ذلك مواقف منسجمة ومتطورة مع تطور الحركة الوطنية، واصبحت البلاد تعيش غلياناً مستمراً حتى انتفاضة عام 1952، حيث تحمل حشاد مسؤولية القيادة المباشرة في عمليات الكفاح الوطني، وقد رافقت ذلك حملة اعتقالات شملت العناصر الوطنية والقيادية وقد قام بها الفرنسيون، مما جعل حشاداً يسخر امكانيات الاتحاد الى حمل السلاح ضد الاحتلال [1]، حيث تكونت خلايا سرية داخل المدن والقرى لضرب عملاء الاستعمار وتهديد المصالح الاستعمارية وتصفية العناصر العميلة والمتعاونة مع الاستعمار وتحطيم المصالح الاستعمارية [2].

وفي المقابل لم تكن السلطات الاستعمارية مكتوفة الايدي او مكتفية بأفعالها التي ذكرت انفاً، بل سلطت عصابتها لاغتيال حشاد، معتقدة انها ستنهي الحركة العمالية وستنهي المطاليب الوطنية بالاستقلال التام الذي يتحقق من خلال الكفاح الوطني في جميع مستوياته، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية واتضح ذلك حينما صرح بأنه لايمكن ان تنال الجماهير الشعبية حقوقها الا بالاستقلال الذي لايأتي الا بالكفاح المسلح[3]وربما كان هذا احدى الاسباب المباشرة لاغتياله في الخامس من كانون الاول

(1) لكن يجب القول هنا ان العمال او الحركة العمالية لم تكن وحدها، اذ شاركت الاحزاب الوطنية والحركات الاسلامية في معركة التحرر، لان هذه الاحزاب او الحركات لاتستطيع ان تقوم بنشاط ذي قيمة من دون التعاون فيما بينها. انظر: مصطفى كريم و كرمال صموت، الحركة الوطنية والحركة العمالية في الوسط الاستعماري مثال تونس، المجلة التاريخية المغربية، عدد 13-14، (تونس، 1979)، ص102-103.

(2) عبد الله، الحركة الوطنية، ص228-229.

(3) نحلة، مصدر سابق، ص159.

1952 [1]وباغتياله فقدت الحركة العمالية والحركة الوطنية عامة، رمزآ بارزآ من رموزها، لكـن ذلـك لم يكن نهاية المطاف في النضال الوطني للحركة العمالية والنقابية، بل زادها اصرارآ على المضي قدمآ في الطريق الذي رسمته عبر مبادئها وأهدافها التي عبرت عنها كما عبر عنها فرحات حشاد.

ان نضال الحركة العمالية التونسية لم يتوقف باغتيال قائدها بالاساليب الارهابية التي اتبعتها سلطات الاحتلال لتغير اتجاهها او ايـديولوجيتها المسـتمدة مـن حشـاد الـذي كـان فكـره مسـتمدآ او مكملآ لافكار محمد علي، وقد اكتسب حشاد اعجابآ ليس فقط على الصـعيد الـوطني او القـومي بـل تعداه الى الفرنسيين انفسهم، اذ يذكر الكاتب الفرنسي دانيـال جـيران(2، ان حشـاداً : ((طعـم الحركـة التونسية للتحرير الوطني بدعم عمالي))[3].

وخلال الفترة التي وقعت بين عامي 1952-1954 عمت تونس اضرابات كثيرة وواسـعة[4]، فقـد صعدت (عصابة اليد الحمراء)[5] التي اغتالت فرحات حشاد، عملياتها

(1) شـارل انـدري جوليـان، افريقيـا الشـمالية، ترجمـة النجـي سـليم وزملائـه، الشركـة التونسـية للنشر والتوزيـع، (تونس،1974)، ص294.

(2)دانيال جيران: وهو احد الكتاب الفرنسيين الذي كتب بانصاف عن الشهيد فرحات حشاد ودوره السياسي.

(5)Hached , Lafrique du Nord et Iamerique, la tribune des peuples noi (mars-avril 1953),p.22.

(4) الجوادي، مصدر سابق، ص53.

(5)منظمة ارهابية معظم اعضائها مـن رجـال البـوليس الفرنسي والمسـتوطنين المتعصـبين الفرنسـيين مهمتهـا اغتيـال واعتقال الوطنيين التونسيين، قام بتشكيلها المقيم الفرنسي جـان دوهويكلـوك بعـد وصـوله تـونس مبـاشرة.انظـر مالكي، مصدر سابق، ص

فارتكبت جريمة اخرى من جرائمها حيث قامت باغتيال الهادي شاكر[1]، كذلك صعدت عملياتها في القتل الجماعي وتهديم المنازل، حيث لم تترك سلطات الاحتلال مكاناً في تونس الا وارتكبت فيه جرائمها[2]. وفي المقابل صعد انصار الزعيم النقابي الشهيد فرحات حشاد الى الجبال حيث كونت حركة المقاومة المسلحة، وبدأت اعمالها العسكرية التي اظهرت بها صموداً وبسالة لانظير لها، اذ قاموا بتصفية عملاء الاستعمار، وقد استمرت اعمال المقاومة الوطنية وزادت حدة وشراسة، ولم تحل سنة 1954 حتى اجبرت السلطات الفرنسية على تغيير سياستها في تونس[3].

---

(1) وهو احد اعضاء حركة الفلاحين التونسيين الذين كان لهم دور في حركة التحرر الوطني.

(2) عبد الله، الحركة الوطنية، مصدر سابق، ص229.

(3) حيث شعر المقيم الفرنسي في تونس الجنرال دي لاتور بضرورة ايقاف القتال في تونس (واعطاء تونس والمغرب الاستقلال ليسهل القضاء على الثورة الجزائرية) حيث صدر بيان مشترك في 16/تشرين الثاني/1954 وافق بورقيبة عليه مقابل تسليم الثوار التونسيين سلاحهم وضمان سلامتهم تمهيداً لحل القضية التونسية مع فرنسا. انظر: محمد علي داهش، اتجاهات العمل الوحدوي في المغرب العربي المعاصر، دراسات ستراتيجية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الستراتيجية، العدد 87،(أبو ظبي، 2003)، ص59.

بعد اغتيال حشاد تسلم الامانة العامة للاتحاد العام التونسي للشغل احمد بـن صـالح1، وسـار في الطريق نفسه الذي سار عليه فرحات حشاد حتى استقلال البلاد[2].وجاءت الظروف التـي سـاعدت الوطنيين التونسيين على نيل استـقلالهم والتي في مقدمتها كفاح التونسيين أنفسهم ضـد المحتـل بكـل الوسائل المتاحة، بعد مناداة حشاد بضرورة اخراج المحتل بالقوة، حيث تغير الوضع و بـدأت المقاومـة المسلحة في 1952، فضلاً عن انبثاق ظروف مسـاعدة فـيما بعـد مثـل اشـتعال الثـورة في المغـرب عـام 1953 وفي الجزائر عام 1954، وهزيمة فرنسا الكبرى في معركة ديان بيان فو عام 1954 التـي انسـحب الجيش الفرنسي على اثرها من فيتنام، كل ذلك أجبر فرنسا على تغيير سياستها في تونس (والمغرب) حيث

(1) احمد بن صالح: ولد عام 1926 في المكنين، وهي قرية ريفية تقع في الساحل، كان ابوه تـاجرآ مـن التجـار الصـغار، درس بن صالح في المعهد الصادقي واكمل دراسته الجامعية في باريس عام 1945 واصبح امينآ عامآ لشعبة الحـزب الدستوري الجديد هناك ونتيجة لنشاطاته الوطنية نفاه الفرنسيون الى مدينة (بو) بفرنسا، وفي عام 1948 عـاد الى تونس وعمل بمعهد سوسة الثانوي استاذ للغة العربية، فواصـل نضـاله في الحـزب الدسـتوري الجديـد وفي الاتحـاد العام التونسي للشغل، وفي عام 1951 اوفد الى بروكسل لتمثيل الاتحاد في (الامانة العامة للاتحاد الـدولي للنقابـات الحرة) واصبح اميناً عاماً لاتحاد عام 1954، ثـم انتخـب نائبـآ لـرئيس الجمعيـة التأسيسـية غـداة الاسـتقلال عـام 1956، واصـبح مـابين= =1957-1960 وزيـراً للصـحة العموميـة والشـؤون الاجتماعيـة ووزيـراً للتصـميم والماليـة والاقتصاد الوطني، وبين عـام 1961- 1969 أصـبح اميـآن عامـاً للحـزب الاشـتراكي الدسـتوري، ثـم اتهـم بالخيانـة العظمى عام 1970 وحكم عليه بعشرة اعوام اشغال شاقة، ولفراره من السجن حكم عليه بخمسـة اعـوام اضـافية عام 1973 وظل مطاردآ .للمزيد انظر:أحمد بن صالح، تونس التنميـة والمجتمـع، حـوار مـارك نرفـان، دار الكلمـة للنشر، (تونس، 1980)، ص39-40.

(2) التميمي، مصدر سابق، ص37.

قام رئيس الحكومة الفرنسية منديس فرانس Mendes France بالسفر الى تونس والتقى الباي محمد الامين في الحادي والثلاثين من تموز 1954 وقال له: ((نحن على استعداد لان ننقل الى التونسيين المؤسسات التونسية، الممارسة الداخلية للسيادة))بدأت المفاوضات في الرابع من ايلول 1954 وانتقلت الى فرنسا في الثالث عشر من ايلول 1954 في أثناء المفاوضات طلبت فرنسا تسليم رجال المقاومة (جيش التحرير التونسي) للسلاح، وعلى اثرها توقفت المفاوضات، لكنها عادت بسبب تصاعد الثورة المسلحة في المغرب عام 1953، واندلاع الثورة الجزائرية في الاول من تشرين الثاني 1954[1]. وكان الحبيب بورقيبة مؤيدآ الى حد كبير للمفاوضات مع فرنسا التي لم تلق معارضة الا من صالح بن يوسف الامين العام للحزب الدستوري(الجديد)[2]، والذي اقلق نشاطه السلطات الفرنسية وازعج بورقيبة مما أدى بالتالي الى فصله من الحزب في الثالث عشر من تشرين الاول 1955 مما قاد الى انقسام الحزب الى قسمين المكتب السياسي برئاسة بورقيبة، والامانة العامة برئاسة صالح بن يوسف [3]، وتم عقد مؤتمر صفاقس في الفترة من 15- في التاسع عشر من تشرين

(1) في هذا الوقت كان الحبيب بورقيبة متابعآ لهذه الاحداث وادار سير المفاوضات ونقل في منفاه في المحيط الاطلسي او احدى الجزر الى باريس، للمزيد انظر: شبكة حسن نت:" الحبيب بورقيبة"،www.alqanat.com ، (تونس،،2004).ص1-6.

(2) ابراهيم طوبال،" سقوط البورقيبية التطور التاريخي والسياسي للحركة الوطنية التونسية"، سلسلة دراسات المعارضة التونسية، عدد الاول، ص30-31؛ صلاح الدين الجورشي، بورقيبة عندما يصدق نفسه، شبكة اسلام اون لاين، www. islam-on line.net،2005؛ العقاد، البورقيبية ومستقبل تونس، مصدر سابق، ص103.

(3) وهو الامين العام للحزب الدستوري الجديد .

الثاني 1955 الذي اكد فصل صالح بن يوسف[1].ثم بدأ بورقيبة بمطاردة المعارضة واستئصالها، فطلب صالح بن يوسف عقد مؤتمر عام لتقرير فصله، لكن المقيم الفرنسي بايعاز من بورقيبة رفض واصدر قراراً بحل المعارضة والقبض على صالح بن يوسف الذي التجأ الى ليبيا وكون جيش التحرير التونسي للكفاح ضد القوات الفرنسية [2]، فيما استمر بورقيبة في تعقب المعارضة (انصار صالح بن يوسف) ومحاكمتهم وزجهم في السجون [3].

اما مايخص الحركة العمالية، فقد توحد نشاط الاتحاد حتى عام 1955 في تيار الحركة الوطنية واصبح من العسير ايجاد مقارنة بين القضايا السياسية والاجتماعية، نظرآ لوحدة الجماهير.لذا اعلنت الهيئة الادارية للاتحاد العام التونسي للشغل، عن رضاها بالمعاهدة التونسية -الفرنسية التي عقدت في الثالث من حزيران 1955، فأدى هذا التأييد الى قلب كفة الموازين لصالح بورقيبة، وبذلك مهد الاتحاد العام التونسي للشغل بزعامة احمد بن صالح الطريق لاستلام مقاليد الامور[4]، حيث صرح احمد بن صالح قائلآ: ((اننا سنحدد

(1) داهش، اتجاهات العمل الوحدوي، ص61.

(2) طوبال، المصدر السابق، ص 31.

(3) محمد بدوي العامري، تونس الخضراء والايدي الحمراء، نشرة يصدرها صوت الاحرار التونسيين، (ب.ت، ب.د)ص 26 ؛ عبد المجيد تراب الزمزمي، تونس في مواجهة التضليل، دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع، (ب.د، 1989).ص56.

(4) لقد تراوحت التحليلات التي تناولت علاقة الاتحاد بالحز ب الحر الدستوري الجديد، بين حدين اثنين او تدقيقآ بين نظرتين مختلفتين من حيث تقدير طبيعة علاقة الاطارين، وحدود تفاعلهما بل ومدى وجود تأثير احادي متبادل، لكن في ضوء هذه المراوحة ظل الاجتماع قائمآ على ان الاتحاد العام التونسي للشغل بتأسيسه وتطور نضاله قد شكل فعلآ مكونآ مركزيآ غير من موازين الصراع ضد=

برنامج عمل في اطار الوحدة القومية، وسنعمل من اجل تحقيق سياسة اقتصادية وطنية، وكل الاغراض الشخصية يجب ان تحمى امام طموحات الشعب))[1].

وفي الوقت نفسه اصاب بورقيبة الخوف من الاتحاد الذي له جماهير واسعة على الساحة السياسية، فحاول ان يضم النقابات العمالية تحت جناحه حيث قال : ((اني اريد ان اجلب انتباهكم انتم ايها العمال حول اهمية الوحدة، لان الطبقة العاملة لم تزل منذ عشرات السنين عرضة للدعاية الماركسية التي تهدف الى تجزئة الشعب الى طبقات متنازعة مع بعضها البعض والتي تريد ان توهم العمال بأنهم اقرب الى رفاقهم في اليابان او في الصين اكثر من ابناء وطنهم.اننا نعيد بعد محمد علي ان الطبقة العاملة هي جزء من الامة التونسية، وان النضال من اجل الحرية الاجتماعية سيتواصل سلمياً وبدون تناحر في اطار الوحدة القومية))[2].

وفي المؤتمر السادس لعام 1956 تبلور اتجاه الاتحاد الى اعطاء طبيعة معينة تحمل اتجاهاً فكرياً جديداً للحركة العمالية.حيث نادى الاتحاد ببرمجة الاقتصاد مع ضبط حد ادنى لدخل العامل وتوسيع الخدمات العامة من صحة وتعليم وما الى ذلك من اصلاحات لم يعهدها جمهور الحزب الدستوري وعلى اساس هذه المقررات، فقد حل الاتحاد النقابي الشيوعي (U.S.T.T) نفسه وانضم الى الاتحاد العام التونسي للشغل، وبذلك اصبح

=الاستعمار وامد الحركة الوطنية بقدرات نضالية بالغة التأثير والنفاد.انظر: مالكي، مصدر سابق، ص367.

(1) ابراهيم، مصدر سابق، ص57.

(2) محمد مزالي، "تاريخ تونس الحديث "، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية، العدد 41، السنة الرابعة، (بيروت،1982)، ص66؛ ابراهيم، مصدر سابق، ص57.

الاتحاد قوة مساهمة في تونس التي نالت الاستقلال في العشرين من اذار 1956، فأصبح للاتحاد خمسة وزراء مقابل سبعة للحزب وشكل الاتحاد مع الحزب قوائم مشتركة لانتخاب المجلس التأسيسي للدولة[1].

ونلاحظ مما تقدم وبالذات فترة الخمسينات وجود ترابط بين الاتحاد والحزب الحر الدستوري الجديد الذي ادى الى تخوف الامانة العامة (التي تراسها صالح بن يوسف) حيث بدأت القلاقل تساورها ولاسيما أنها بدأت ترى تعاون الاتحاد مع الحزب الحر الدستوري [2]، وبعد تعيين احمد بن صالح كاتباً عاماً(اميناً عاماً) للاتحاد وهو ليس من الطبقة العاملة بل هو من المثقفين، فاعتبر ان الحركة النقابية يجب ان تصبح اساس الدولة الديموقراطية، فأراد ان تكون هذه النقابة الة لتحرير الشعب تحريراً شاملاً.فأصبحت النقابة الركيزة الاساسية للحزب الحر الدستوري الجديد فكانت آراؤه وطروحات زعيمه احمد بن صالح مطابقة للحزب في انتخاب المجلس المسؤول، وحرية الحركة النقابية، واجبارية التعليم وتكوين وزارة تونسية صرفة، ومقاومة البطالة[3].

تحدث احمد بن صالح بعد استلامه رئاسة الاتحاد العام التونسي للشغل عن رؤيته لدور الحركة النقابية في تغيير المجتمع قائلاً : ((ان الحريات لاتبنى على البؤس والقهر والفوارق الفاحشة وليس هناك أي تنظيم هيكلي في المجتمع احق وأقدر على تغيير ذلك الواقع المستحكم غير الحركة العمالية في اعماقها الشعبية وفي ابعادها الوطنية الشاملة

---

(1) ابن حميدة، مصدر سابق، ص51.

(2) نعمة السعيد، المغرب العربي استعراض للمعالم الحضارية لاقطار المغرب العربي وتطور انظمتها السياسية ماقبل وبعد الاستقلال، دار الحرية للطباعة،(بغداد،1979)، ص179.

(3) كاظم، مصدر سابق، ص132

وامتدادها في المحيط والاقليم، وهذا المفهوم يتباين حينئذ مع المفهوم الضيق، لكون الحركة العمالية حركة مهنية بالمعنى القاصر او الجاف للعبارة من دون ان يعني ذلك الا تكون للانسان مطالب حياتية وحاجات يومية حيوية، انما ينبغي ان تتنزل في صميم رؤية واسعة تتجاوز الذات ولكن لاتلغيها او تعزلها، فمن ابرز الاحلام التي راودتني وراودت الكثير من ابناء جيلي تغيير التركيبة الاجتماعية عندنا فما اشد ما كنا عليه من التوق الى احداث تغيير جذري في المجتمع وما اعنف ماكان يعصف بنا من الشوق الى ان نمسك بالوسائل النافذة، من القدرة على عجن المجتمع ثم نحته من جديد))[1]. الا ان هذا الرأي لم يمنع احمد بن صالح من ان يدافع عن دمج النقابة بالحزب، الا ان اصحاب الحزب (بورقيبة) رفضوا هذه الفكرة لا بل حاربوها.وقد اعتمد الحزب وزعيمه وسعوا الى الاعتماد على الطبقة العاملة وعندما قامت ثورة الفلاحين في 1954، سارع بورقيبة الى تصفيتها [2].

أسس الاتحاد في خضم النضال الوطني من اجل التحرر والاستقلال، واستطاع أن يربط بين النضال الاجتماعي والنضال الوطني المتعلق بالحرية والكرامة، وكانت له نضالات تعكس تمسكه بالمبادئ (الاستقلال والمساواة والعدالة الاجتماعية والمساهمة في بناء المجتمع الديمقراطي)، التي بني عليها استقلال القرار النقابي، مما عرض مناضليه في فترة الاحتلال الى كل الممارسات التي تحبط عزيمتهم، والتي لم تزدهم الا قوة وصلابة واصرارهم على التضحية من اجل الاتحاد.لقد افلح الاتحاد في توحيد العمال من اجل

(1) شهادة احمد بن صالح السياسية، اضاءات حول نضاله الوطني والدولي، السلسلة 11، شهادات شفويةرقم 1، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان،(تونس، 2002)، ص4.
(2) صلاح العقاد، البورقيبة ومستقبل تونس، مجلة السياسة الدولية، العدد 27، السنة الثامنة،(1972)، ص124-130.

مقاومة الاستعمار والرأسمالية التي تبحث عن سبل الربح السريع على حساب العمال.ومع ذلك بقيت الهياكل الاساسية للاقتصاد التونسي بدون تغيير تقريبآ، لكن منذ عام 1956 كانت المنظمة النقابية الوطنية، تتصف باحكام التحليل والدقة فلم يقتصر تقرير المنظمة على تحليل للوضع فحسب، بل قام بتقديم مجموعة من التدابير كان يجب اتخاذها لمقاومة التخلف ومضاعفة المدخول الحقيقي الادنى، وكانت قد ركزت انذاك على مبدأ التخطيط للاقتصاد التونسي[1].

تعد الحركة العمالية وتكوين النقابات في تونس يعد فصلآ رائعآ في قصة الصراع الوطني ضد الاستعمار السياسي والاقتصادي الفرنسي الذي كان يجثم على تونس ويسلبها حريتها ويفرض عليها العبودية، كما كان يستنزف موارد ثروتها الطبيعة ويسخر قواها البشرية لصالح اقلية صغيرة من المستوطنين الفرنسيين[2]، منطلقين من قناعة فكرية ونظرية مركزية قوامها ان ((النضال النقابي العمالي بالمجتمعات المستعمرة، لايتطور ويكتمل نضجه، الا بتداخله وارتباطه الجدلي بالعمل السياسي، وان صراع العمال نقابيآ لايستهدف مقاومة رأس المال وحسب، بل يعمل على ازالة الاستعمار ايضآ))[3].

لقد أكد رئيس الاتحاد فرحات حشاد في مؤتمرات الاتحاد تطبيق الحرية واعتبر ان التحرر الوطني هو اداة للتحرر الاجتماعي، حيث قال: ((ان سعادة الطبقة الشغيلة مقترنة بسعادة الوطن وبراحته ولايمكن تحقيق الازدهار الاجتماعي تحت نفوذ النظم الاستعمارية

(1) بن صالح، مصدر سابق، ص23.

(2) احمد ابو زيد، الحركة النقابية والتحرر الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد 4، مطابع مؤسسة الاهرام، (القاهرة،1966)، ص378.

(3) مالكي، مصدر سابق، ص354.

وضغطها والطبقة العاملة التونسية التي تشعر كل الشعور بهذه الحقائق وتبذل اقصى الجهد لتكون خير مثل في كفاح البلاد حتى بلوغها غاياتها المنشودة))[1].

وعلى الرغم من حداثة عهد تونس بالنقابات العمالية المنظمة، وعلى الرغم من ان معظم هذه النقابات نشأ في اول الامر قصد الدفاع عن حقوق فئات محدودة صغيرة من العمال الذين يشتغلون في مؤسسة صناعية واحدة، او العمال الذين يمارسون مهنة معينة بالذات في اقليم واحد اوحتى في مدينة واحدة فقط، وعلى الرغم من المشكلات الكثيرة التي صادفتها هذه النقابات الصغيرة في مبدأ تكوينها والصعاب والعقبات الكثيرة التي كان يضعها اصحاب رؤوس الاموال الاوربيون على الرغم من تحالفهم مع السلطات الاستعمارية ضد هذه التنظيمات العمالية الناشئة، على الرغم من هذا كله افلحت النقابات في ان تكبر وتنمو وتتفرع في فترة قصيرة [2].

ان الطبقة العاملة التونسية في ظروف الامتيازات الاجنبية ثم السيطرة الاستعمارية كانت في ضنك شديد، وكان الشعب التونسي يخوض المعارك الطاحنة ضد هذا الاحتلال الغاشم بوسائلة البدائية ويقدم المزيد من النضال، فتحتم على العمال التونسيين ان يسهموا في معركة التحرر الوطني فكانت جبهات الكفاح تضم قوى الشعب الخيرة، وكان للعمال دور بارز ومؤثر فيها[3]، واصبحت خطرآ جديدآ على الاستعمار بعد أن توافرت لها

(1) مالكي، مصدر سابق، ص364؛ ابن حميدة، مصدر سابق، ص246.

(2) محمد جمال امام، ابعاد الحركة العمالية في افريقيا، السياسة الدولية، العدد 19، مطابع الاهرام، (القاهرة،1970)، ص120؛ابو زيد، مصدر سابق، ص379.

(3) وحيثما اتسع نطاق المعركة واشتد لهيبها، فكان خطر الطبقة العاملة يبرز بشكل اوضح على السيطرة الاستعمارية ولاسيما المعارك اليومية التي يشنها العمال، فكانت تشل التحركات العسكرية وتسبب= =خسارة الملايين من الفرنكات للمزيد انظر: مالكي، مصدر سابق، ص427؛ عبد الله، الحركة الوطنية، ص121-188.

الامكانية الكافية واصبح لها كيانها ودورها الايجابي والمؤثر في الاحـداث [1]، فالاضرابـات والاعتصـامات والتظاهرات هذه المعارك التي يشنها العمال التونسيون على الاستعمار الفرنسي هي لاهـداف وطنيـة واجتماعية في زمن تصاعدت فيه الحركة الثورية.وشهدت المجتمع التونسي ميلاد وحدات من المقـاتلين خاصة بعد اغتيال زعيمهم فرحات حشاد، وقد أفاد المحتلون من هذا الوضع المضـطرب، حيـث تمكـن من التسلل الى الكثير من المواقع التي طردت منهـا تحـت ضـغط الحركـة النقابيـة وزورت الشـعارات الوطنية وهربت اساليب عمل اصلاحية واثارت الخوف مـن العـمال في صـفوف البرجوازيـة واصـحاب رؤوس الاموال وبالتالي استطاعت ان تجر الى صـفه محاربـة الطبقـة العاملـة والحركـة الثوريـة بهـذه الوسائل وسواها[2].بماذا اذن يمكن تفسير النزعة القاضية بفصل النضال النقابي عن العمل السـياسي في تفكير فرحات حشاد الذي سيصبح مـن دون منـازع، رمـزآ للاتحـاد العـام التونسيـ للشـغل، هـل هـو موقف مبدئي نابع من قناعة واعية بضرورة حصر نشاط الحركة العمالية في ما هو مطلبي مادي صرف ليس الا، أم ان الاقرار بذلك لايعدو ان يكون حكمآ سطحيآ، وان الدعوة الى توجيه النضال النقابي نحو الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية التونسية وتجنيبه الانفعال والتفاعل مع الصراعات السياسـية بفرنسـا تعد اساسآ وبالضرورة موقفآ

(1) صادق جعفر الفلاحي، " مسؤولية الحركة النقابية للعمال العرب"، مجلة الثقافة الجديد، العدد 27،(بغداد،1971)، ص15.

(2)الفلاحي، المصدر نفسه، ص17.

فكرياً نظرياً من الاستراتيجية المعتمدة من لدن الكونفدرالية العامة للشغل واتحاداتها المحلية بتونس من قضية التحرر والاستقلال في هذا البلد[1].

رابعاً:الدور الاقتصادي والاجتماعي للاتحاد العام التونسي للشغل:

- المكاسب التي حققها الاتحاد :

لقد اصدرت السلطات الفرنسية على امتداد الفترة الممتدة مابين 1884-1946 سلسلة من النصوص التشريعية والتنظيمية، مكنت الفرنسيين والاوربيين العاملين في تونس والجزائر والمغرب من مجموعة من الحقوق الخاصة بأوضاعهم المهنية (الاجور، وساعات العمل، والعطل السنوية، والراحة الاسبوعية، والامراض المهنية، وفسخ العقود، والمنازعات، وحوادث الشغل0000الخ) وايضاً بالوسائل النضالية لتحسين ألاوضاع في حق الانتماء النقابي والاضراب وبالمقابل حرمت العمال في أقطار المغرب العربي الثلاثة من الافادة المطلقة والشاملة من تطبيق هذه النصوص، سواء على مستوى الحقوق والامتيازات المهنية، أو على صعيد الوسائل الضرورية لتحصين هذه الحقوق وتطويرها لما هو افضل [2].

كانت هناك مكاسب كبيرة حصل عليها العمال التونسيون خلال حقبة طويلة من النضال ضد الاحتلال الفرنسي، فضلاً عن المشاركة في العمل الوطني، بدأت الحركة النقابية التونسية تتلمس اولى معالم طريق بلورة برنامج اجتماعي اقتصادي يعبر عن مصالح الطبقة العاملة وقد تبنى ذلك المؤتمر الرابع للاتحاد العام التونسي للشغل في اذار عام 1951

(1) البشير بن سلامة،"تونس والدولة الوطنية"، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية، العدد 32، السنة الثالثة، (بيروت، 1981) ص54؛ مالكي، مصدر سابق، ص364.

(2) مثل مرسوم السادس والعشرون من تشرين الثاني لعام 1932، مالكي، مصدر سابق، ص355-356.

حينما طرح برنامجآ سياسيآ واقتصاديآ واجتماعيآ اعتبر التحرر الوطني اداة للتحـرر الاجتماعـي و تـم اعتباره اساس برنامج اشتراكية ديموقراطية تونسية[1]، من هذه المكاسب:

أ: تحسين شروط العمل والحياة للعامل:-

ضمنت تـشريعات الاجر لكـل عامـل مسـتوى يتــناسب مـع نـوع عملـه ومؤهلاتـه ومسـتوى الاسعار والاجور في المجتمع، ولم تحدد السلطات الحكومية مستوى الاجور بل اكتفى بعضها بتحديـد سلم للاجور وبعضها الاخر بتحديد المستوى الادنى له، وقرار كهـذا يعكـس اهتمامـات اجتماعيـة اكـثر منها اقتصادية، الا ان الهدف الاجتماعي ليس الهدف الوحيد فالاجر يؤدي دوريـن أحـدهما اقتصـادي والاخر اجتماعي[2]، والاتحاد يسعى الى تحقيـق تـوازن صـعب يهـدف الاول فيـه الى رفـع مسـتويات المعيشة وزيادة الانتاجية، وتحسين توزيع الدخول بسبب التفاوت في توزيع المداخيل [3]، ويبدو ذلـك أكثر وضوحآ في تونس، فحتى عام 1955، كان 300.000عامل اوربي يمثلون اقـل مـن 8% مـن مجمـوع السكان يتصرفون في عائـد يقـدر بــ 90 مليـار فرنـك أي 43% مـن مجمـوع المـداخيل، وحتـى وسـط السكان التونسيين فان هناك تبايناً في المداخيل الموزعة، فالريفيون التونسيون المقـدرون بــ2.3مليـون أي ما يقارب 60% من مجموع السكان لايستفيدون الا بأقل من 25% من اجمالي المـداخيل الموزعـة، ويحصل السكان غير الزراعيين على 32% من مجموع العائدات [4].

(1) مرزوق، مصدر سابق، ص3.

(2) محمود الذوادي، "التخلف الاخر في المغرب العربي"، مجلة المستقبل العربي، العدد 47، السنة الاولى، مركز دراسـات الوحدة العربية،(بيروت،1983)، ص74-98.

(3) أي ديلبو كامبل، حركة العمال العالمية، مطبعة بغداد،(بغداد، بلا) ص19.

(4) فاروق محمد العادلي،"الرعاية الاجتماعية ومشـاكلها في الـوطن العـربي"، مجلـة حوليـة كليـة الانسـانيات والعلـوم الاجتماعية، العدد الرابع،(قطر،1981)ص86؛ براهيمي، مصدر سابق، ص95.

ويهدف الثاني الى خفض كلف الانتاج وما يتضمنه ذلك من زيادة فرص الاستثمار وتشجيع الصادرات وتشجيع السياحة والافادة من تدني الاجور لتوطين الرأسمال الاجنبي....الخ. ينتج من اجراءات الاتحاد حماية العامل داخل وخارج موقع عمله عن طريق تنظيم اوقات عمله واجازاته واوقات راحته وتوفير الامن الصناعي والحماية الصحية والخدمات والتأمينات الاجتماعية له ولعائلته[1]. كما ينتج عنها الحفاظ على مستوى نمو الانتاج وتحسين انتاجية العامل بالحلول المادية والمعنوية ومنها التنظيمية والتكنولوجية، فضلاً عن تحقيق نوع من العدالة الاجتماعية.

ب: تطوير قوة العمل وتوفيرها:

يعد هذا مدخلاً اساسياً لانجاز العمل وتحقيق اهدافه، وهو يمكن أيضاً من تحسين مستوى اداء العامل ويحسن دخله وتقوية انتمائه الى عمله ومؤسسته، والمشكلة لاتقتصر على هذه الاهداف فقط فتونس تمر بمرحلة صعبة تتصف بعدد كبير من الايدي العاملة، وبذلك فهو يضم مخزوناً من الموارد البشرية غير مستغلة الى حد بعيد، ومن الواضح انه يحصل تغير في البيئة اقتصادية كلما طرأ تغير على الاهمية النسبية للقطاعات او الصناعات المختلفة المولدة للدخل القومي[2].فنلاحظ بصفة مجملة ان 135.000 عامل زراعي

(1) تقرير عن الخدمات الاجتماعية العمالية في البلدان العربية، اعداد قسم الخدمات الاجتماعية والتعاونية، مكتب العمل العربي،1977، ص 12-15.

(2)Allen G.B. Fisher (The Economic implication s of Material progress) ,international ,Labour Review, July, 1935.

تونسي أي ما يمثل 37% من السكان الزراعيين النشطين، لايستفيدون الا من 14.7% من اجمالي العائدات الزراعية[1]، ويمكن ملاحظة ذلك في الجدول الاتي :

العمل والعائدات الزراعية في تونس عام 1955

المزارعون	العدد (بالالاف)	اجمالي العائدات الزراعية (بمليارات الفرنكات)	عائدات الفرد (بالاف الفرنكات)
العمال المزارعون	135	10	74
صغار المزارعين التونسيين	80	7	90
المزارعون المتوسطون التونسيون	105	15	150
كبار المزارعين التونسيين	45	20	450
الاوربيون	5	16	3200
المجموع	370	68	184

(2)

من جهة اخرى يربح المزارعون الصغار، وعددهم 80 ألف، سبعة ملايين فرنك أي 10% من اجمالي العائدات الزراعية، اما المزارعون المتوسطون الذين يبلغون 105.000 فيفيدون من 22% من مجموع العائدات الزراعية، حيث يبدو هذا التباين متواضعاً بين الفئتين، لكن اذا قارنا بين الفئتين السابقتين والمزارعين الكبار نجد التفاوت كبيراً.حيث

(1) طلائع الثورة العربية بتونس، المسألة الزراعية وازمة النظام في تونس، دار الطليعة،(بيروت،1970)ص25-33.
(2) طلائع الثورة العربية في تونس، مصدر سابق، ص 33-35.

المزارعون الكبار يجمعون 20 مليار فرنك أي 30% من مجموع العائدات الزراعية مع انهم لايمثلون الا 12% من مجموع السكان الزراعيين النشطين[1].واذا قارنا هؤلاء جميعآ مع المزارعين الاوربيين نجد الفرق كبيرآ اذ يربح اوربي واحد في المتوسط اكثر من 43 مرة من العامل الزراعي، و 36 مرة اكثر من مزارع تونسي صغير و 7 مرات اكثر من مزارع تونسي كبير[2].

الا ان الفوارق تبدو اكثر اتساعآ اذا ما قارناها بمداخيل الشغل من غير الزراعيين(عمال مصانع، وأصحاب المهن، والتجار، والموظفين0000الخ) فنلاحظ ان العمال التونسيين الذين يمثلون 41% من مجموع العمال النشطين لايستفيدون الا بـ 16% من اجمالي المداخيل، في حين يستفيد 3% من العمال الاوربيين بـ 13% من اجمالي الدخل.ويمكن ملاحظة ذلك من الجداول التالية:

توزيع مداخيل العمال التونسيين لعام 1955

الفئة	العدد (بالالاف)	العدد(%)	اجمالي الدخل (بالمئة)	الدخل المتوسط (بالالاف)
العمال	118	41	16	160
الموظفون	35	12	9	300
أرباب العمل	53	19	14	300
مدراء المؤسسات	3	1	3	1500
المجموع	209	73	42	210

(1) براهيمي، مصدر سابق، ص95- 96.

(2) براهيمي، المصدر نفسه، ص96.

توزيع مداخيل العمال الاوربيين لعام 1955

الفئة	العدد (بالالاف)	العدد(%)	اجمالي الدخل	الدخل المتوسط (بالالاف)
العمال	16	6	5	400
الموظفون	21	7	9	530
أرباب العمل	31	11	31	1150
مدراء المؤسسات	8	3	12	3000
المجموع	76	27	58	950

(1)

ففي الطبقة المتوسطة (العمال، الموظفين، التجار)نرى ان 53.000تونسي أي 19% من مجموع السكان يستفيدون من 14% من اجمالي المداخيل مع انهم لايمثلون الا 11% من السكان غير الزراعيين، ويمثل مدخول العامل التونسي 40% من معدل العامل الاوربي، والشيء نفسه للدخل المتوسط لارباب العمل التونسيين والموظفين فانه يقارب 26% من الدخل المتوسط للاوربيين، وعلى مستوى اخر فان متوسط دخل الاوربي يقدر بـ 3 ملايين فرنك خلال سنة 1955 أي 19 مرة اكثر عن العامل التونسي الذي لايتقاضى سوى

(1)يوسف عبد الله صايغ، اقتصادات العالم العربي التنمية منذ عام 1945، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت،1984)، ص258-259

160.000فرنك في العام، في حين لايتجاوز دخل الاطار نفسه 4.5 مرة اكثر مـن دخـل العامـل الاوربي المقدر بـ400.000خلال السنة نفسها[1].

ج:ربط قضايا العمال مع قضايا التنمية:

ويشمل التنسيق والتوافق بين قضايا العمل والعمال وقضايا التنميـة الاجتماعيـة والاقتصـادية بالتالي استراتيجية التنمية العامة وخطتها الشاملة ويستلزم ذلك دراسة شمولية تضم مختلف الميادين اهمها ضرورات تحسين دخل العامل وظروفه الحياتية الى جانـب ضرورات تحسـين العمليـة الانتاجيـة ومتابعتها وما يولده من فوائض تسمح باستمرارية العملية الانتاجية، فالانخفاض في مجمـوع الطلـب النقدي الناجم عن انخفاض الاجور النقدية [2]، قـد يتسـبب في انخفـاض دخـول غـير كاسـبي الاجـور، ولايمكن للعمالة ان ترتفع الا اذا لم تتأثر الدخول النقدية لغير كاسبي الاجور بانخفاض الاجور النقدية، ويرتفع مستوى العمالة في هـذه الحالـة امـا بسـبب تـأثير الاحـتلال او بسـبب اعـادة توزيـع الـدخل الحقيقي لصالح غير كاسبي الاجور[3].

حيث كانـت الاسـتثمارات مسـتقرة بـين عـامي 1950 و1954 اذ تراوحـت 81.7 مليـون فرنـك وبلغت عام 1951 و 89.8 مليون فرنك عام 1954 وبين عامي 1955

(1)المصدر نفسه، ص 259-260؛ براهيمي، مصدر سابق، ص 97-98؛ امين، مصدر سابق،73-74.

(2)John Maynard Keynes, The General theory of Employment , interest and mony, Harcourt ,Brace ,New york, 1936, p.262.

(3) والاس بيترسون، الدخل والعمالة والنمو الاقتصـادي، ترجمـة صـلاح الـدباغ، مراجعـة برهـان دجـاني، الجـزء الثـاني، بيروت 1968، ص245.

و1956 حدث تدهور كبير يقدر بـ50% ألحق في مداخيل الطبقة العاملة 6% مـن اجـمالي العائـدات [1]، حيث كان الاوربيون 195,000 أي اقل من 25% من السكان النشطين غير الزراعيين يحصلون من دخل سنوي معدله 1200.000 فرنك أي 5 مرات اكثر مما يستفيد منه 600.000 تونسي- الـذين يقـدر عددهم بـ 240.000 ومهما يكن فان الاوربيين يتقاضون اجوراً احسن من التونسيين اهل الـبلاد سـواء كانوا من العمال أم المستخدمين أم أرباب الحرف أم التجار[2].

كما تشمل ميادين السكان والقـوى العاملـة والهجـرة والبطالـة والانتاجيـة ونقـل التكنولوجيـا ومتطلبات سوق العمل ومنها ميادين التربية والتعليم والبحث العلمي والصحة والاسـكان فضـلاً عـن ميادين الاسعار والقوة الشرائية والاستهلاك والاستثمار وميادين المال والنقـد والتسـليف[3]، وميـادين الزراعة والصناعة والخدمات وما تمتصه من يد عاملة وما توفره من فرص عمل حالياً وفي المستقبل[4].

د:الحلول والتدابير لتحسين العلاقات بين طرفي الانتاج:

من اجل تحقيق هذه الاهداف هناك حلول وادوات عديدة منها الحلول التي اتبعـت لتحسـين شروط العمل ومنها الترتيبات التي تسعى لاشراك العامل في تنظيم العمل ومنها ما ذهب الى ابعد من ذلك لاشراكه في الادارة والارباح وحتى في الملكية ومنها ما هدف الى

(1) عندما نتحدث هنا عن توزيع العائدات الفردية حسب التأهيل، نتيقن ان توزيعها ظالم وغير عادل.

(2) براهيمي، مصدر سابق، ص82-83.

(3) Walter Nicholson, intermediate Microeconomics and its Application, The Dryden press, III inois, 1975, p.127-130.

(4) D.S.watson, price Theory and its use, secona Edition Houghton Mifflin company, Boston, 1968. p.167-173.

تنظيم العلاقات الصناعية وتطويرها عن طريق التفاوض الجماعي، ويعود نجاح النظام الاخير الى عوامل عدة اهمها موقف النقابات التي هي الطرف الرئيسي في هذا التنظيم والى قوة مركزها وحسن قيادتها ووعيها وتفهمها لقضايا العمل، ومما يدعو الدولة الى تحقيق هذا النوع من السلام العمالي هو تحسين شعور فريق الانتاج بالدور الذي يمارسه في عملية الانتاج[1]، وتوفير الشروط الايجابية التي تدفع كلا الطرفين الى العمل سوية في جو من التوافق والتجانس يمكنه من استمرار العملية الانتاجية، واخيرآ دفع الفريقين اى تكريس جهودهما لصالح العمل نفسه والسعي ما أمكن لتحسين جودته ورفع مستوى انتاجيته[2].

خامساً:الاتحاد العام التونسي للشغل وقضية التعريب :

منذ تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل عام 1946 وضع شروطه الاساسية الكفيلة بتوحيد الحركة النقابية خلال مفاوضاته مع فرع (C.G.T) واستعمال اللغة العربية وطالب باشتراط اللغة العربية في جميع المناظرات حتى تكون اللغة الرسمية الوحيدة بدل الفرنسية في جميع الدواوين الحكومية، واعتبرها قضية مصيرية اذ جاء في تقرير مشاكل الثقافة والتعليم الذي قدم للمؤتمر الوطني الرابع عام 1951 : ((للوصول بالشعب التونسي الى استقلاله الداخلي، على الحكومة التونسية ان تبدأ اولآ بأول مقومات هذا

(1) عن طريق تحسين سلوكهما البشري وبتفاعلهما الانساني تجاه هذه العملية واخضاع ذلك الى عوامل ابعدها تكون التشكك والريبة وافضل ما تكون الى التعاون البناء لتحقيق اهداف المؤسسة.

(2) ويضعف الازدواج دور الدولة في ميدان العمل والعمال، ويحد كذلك من فعاليته قصور المؤسسات البنيوية المساندة والمشاركة له والمتممة لجهوده، ومن اهم هذه المؤسسات النقابات المهنية، ويرجع ضعف دور النقابات المهنية في ميدان العمل والعمال الى قلة عددها نسبيآ، وقلة ايمان العدد الاكبر من العمال بجدوى التجمعات المهنية، ضعف الثقة بقوة التفاوض الجماعي.مالكي، مصدر سابق، ص.

الاستقلال برد الصبغة التونسية للادارات التونسية، ولن يكون ذلك الا متى اصبح جميع موظفي الحكومة تونسيين، ولغة الادارة اللغة العربية))[1].

ومنذ عام 1948 اعدت الجامعة القومية للتعليم التابعة للاتحاد العام التونسي للشغل تقريراً أكدت فيه تعريب التعليم، وخصص الاتحاد خلال مؤتمره عام 1951 صفحات عديدة لحل مشاكل التعليم، حيث ورد في التقرير :((تحوير التعليم والسير به الى التعريب))[2].

وحاول الاتحاد تدعيم علاقاته مع المنظمات العمالية العربية وذلك من خلال مشاركته في (المؤتمر الاجتماعي للشرق الاوسط) لتأكيد الارتباط الكامل بالاقطار العربية من الناحية الثقافية والاجتماعية[3].وحرص النقابيون التونسيون على حث الجامعة العالمية للنقابات الحرة بعد الانضمام اليها في عام 1951 على الاهتمام بالقضايا العربية، لكن هذه الجهود لم تتم بسبب الصعوبات في الخلاف في اختيار المستوى العالمي، اذ اختارت بعض النقابات العربية المشرقية الانضمام للجامعة النقابية العالمية (F.S.M) التي كان يسيطر عليها الشيوعيون، ولضعف النقابات المشرقية وعجزها عن تجاوز الخلافات بين الانظمة

---

(1) عبد السلام بن حميدة، النقابات والوعي القومي مثال: تونس، مقالة من كتاب تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت،1986)، ص258-259.

(2) بن حميدة، مصدر سابق، ص259.

(3) محمد الميلي، الجزائر والمسألة الثقافية التناقضات والجذور، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية العدد 45، السنة السابعة، (بيروت،1982)، ص68.

السياسية القائمة بعد الاستقلال ضعف الامل في الوصول الى توحيد كل الجهود في مستقبل قريب [1].

سادساً:العمل من أجل الديمقراطية:

أسهمت الحركة النقابية العمالية في توطيد التضامن بين شعب تونس وحركات التحرر والسلم والديموقراطية والاشتراكية.وعلى الصعيد الوطني اندمجت الحركة النقابية العمالية مع حركات شعبها الثورية وشغلت مراكز مهمة في الجبهات الوطنية وادت دوراً خالداً في معركة الحرية، وليس من قبيل الصدفة ان تنطلق الاوساط المعادية لحركة الشعب والطبقة العاملة بالتهجم فضلاً عن النشاط المحموم ضد الحركة النقابية والدعوة الى ابعاد النقابات عن السياسة[2]، وقد اكد ذلك فرحات حشاد في المؤتمر الرابع للاتحاد في اذار عام 1951.

ان الطبقة العاملة التونسية منذ بداية تكوينها قد أدت ولا تزال تؤدي دوراً بارزاً في مضمار الحركة الوطنية والديموقراطية، وقد جذب فكرها الثوري والاشتراكي كل

---

(1) بن حميدة، مصدر سابق، ص260.

(2) ان المقصود من كل ذلك هو عزل الحركة النقابية عن الحركة الوطنية والثورية وفقدان الاخيرة فصيلة مهمة من فصائلها ليسهل بالتالي الانقضاض عليها وضربها وقد حققت هذه المكيدة بعض النجاح وخاصة في عام 1952 للمزيد انظر: علي الدين هلال وآخرين، الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1998)، ص 324.

الاتجاهات والحركات الثورية الهادفة بحق الى التحرر القومي[1].ان الدفاع عن مصالح العمال اليومية الملحة والجوهرية يتطلب وجود مؤسسات نقابية في مستوى مهامها قادرة على تعبئة طاقات العمال الزاخرة واستثمار كفاءاتهم وتوجيهها في المجرى المفضي الى تطوير الحياة النقابية وتعزيز حركتها الثورية، ولا ريب ان المنظمات النقابية المطلوب تطويرها الا تعيش بمعزل عن الحياة السياسية العامة، وانما هي تتفاعل معها دائماً وتؤثر فيها بصورة مباشرة، وتسهم في تحقيق تضامن قواها الثورية وتوطيد وحدة كفاحها، كما ان الاخيرة تؤثر هي الاخرى ايضاً بصورة ايجابية في حياة الحركة النقابية ومنظماتها القائمة[2]. وكان

(1) فليس من مصلحة الطبقة العاملة، ولا من مصلحة الشعب وجود أية ثغرة يتسرب منها نمط من التفكير الرجعي او الاصلاحي او اختزال افاق فكرها الرحيب الى درجة تصورها قوة ثانوية منفعلة وغير فاعلة متأثرة وغير متأثرة للمزيد انظر: رزاق ابراهيم حسن، النقابات العمالية، دار الرشيد،= =(بغداد، 1979)، ص203-204؛ خالد الناصر، "ازمة الديمقراطية في الوطن العربي"، مجلة المستقبل العربي، العدد 55، السنة السادسة، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت،1983)، ص87.

(2) في منظمة العمل الدولية نصت المادة 23 من ميثاق عصبة الامم على وجوب تأسس منظمة مستقلة للعمل الدولية تهدف الى تهيئة الظروف البشرية العادلة للعمال الرجال والنساء والاطفال في جميع الاقطار .وهذه المنظمة وهي الجزء المتمم لعصبة الامم على الرغم من استقلالها الذاتي، وضعت التوصيات الخاصة بتحسين ظروف العمل في جميع انحاء العالم وسنت تشريعات تقدمية للعمال وشجعت البحث العلمي حول مشاكل العمال .وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة رفضت الانضمام الى عصبة الامم الا انها اشتركت في منظمة العمل الدولية في 1935. للمزيد انظر: فيكتور فيثر، جوهر الحركة النقابية، نقلت الى العربية في المكتب التجاري، (بيروت، بلا)، ص19؛ لويس شانيدر،

مذهب الحكومة الفرنسية ان تنشر المبادئ الانسانية التي ورثتها عن الثورة الفرنسية بشأن حقوق الانسان، فأعلنت الاخاء والمساواة بين الجميع، لكنها حرصت على أن تحتفظ بالمبدأ الثالث مبدأ الحرية السياسية للمواطنين الفرنسيين من دون غيرهم.وليس في برنامج السياسة الفرنسية الاستعمارية، مكان ملحوظ لتهيئة التونسيين لحكم انفسهم وتقرير مصيرهم[1].لذلك كانت الحكومة الفرنسية تتعثر وترتبك وتخطئ وتمعن في الخطأ كلما ثار التونسيون على الحكم الفرنسي مطالبين بالاستقلال، فكانت تقابل تلك الحركات بالقسوة والعنف، ذلك لانها تعتقد انها مبعوثة المدنية والثقافة الاوربية، وانها خلاف دول اوربا تؤمن بمبدأ المساواة والاخاء وتطبقها من دون تمييز بين مختلف الاجناس والالوان والعقائد[2]، وفي سبيل تطوير الحركة النقابية ورفع مستواها يتطلب الامر تعاوناً جاداً بين كل العاملين في الحركة العمالية وكافة المخلصين في هذا القطاع الشعبي المهم ولاجل ان يكون هذا التعاون مثمراً يجب ان يرتكز على اسس قوية، ويضع نصب العين الهدف الجليل وهو خدمة قضية العمال، ان من اهم حاجات تطوير الحركة النقابية وتقدم منظماتها هو العمل على تحقيق الانتصار للديموقراطية النقابية والالتزام بالمبادئ النقابية العامة والاخذ بها قولاً وعملاً في مجالات النشاط جميعها.

العالم في القرن العشرين، ترجمة سعيد عبود السامرائي، مراجعة وتقديم عطا بكري، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت). ص59.

(1) رفعت، مصدر سابق، ص576.

(2) وهذه في الحقيقة مغالطة كبرى اذ كانت تقابل اي حركة وطنية بقوة وعنف وتمارس ضدها شتى انواع القمع كما في احداث 1952 .



الفصل الرابع

نشاطات الاتحاد العام التونسي للشغل

(1946- 1956)

أولاً: نشاطات الاتحاد في المغرب العربي (1946- 1956)

ثانياً: نشاطات الاتحاد العربية (1946- 1956)

ثالثاً: نشاطات الاتحاد العالمية (1946- 1956)

الفصل الرابع

نشاطات الاتحاد العام التونسي للشغل

(1956-1946)

آمن فرحات حشاد بضرورة اقامة علاقات اخوية مع جميع الاقطار المغاربية والعربية والدولية، لنشر النقابات في جميع هذه الاقطار وجعل العمال موحدين تحت راية نقاباتهم.

أولا:نشاطات الاتحاد في المغرب العربي(1946 – 1956):

آمن فرحات حشاد رئيس الاتحاد العام التونسي للشغل منذ البداية بوحدة الحركة النقابية في المغرب العربي، وادى دوراً ريادياً على راس اتحاده بين اعوام 1946- 1952[1]، ففي العشرين من كانون اول 1946 قام حشاد بالقاء محاضرة في مقر جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين في باريس وضح خلالها طموحات الاتحاد ورغبته في توحيد الحركة النقابية في المغرب العربي حيث قال : ((ان هذا المشروع عزيز علينا طالما حلمنا به .... ان حظ بلدان شمال افريقيا الثلاثة وثيق الارتباط وقضيتها واحدة على وجه الاطلاق وعلى هذا يجب احكام عقد الرباط الاخوي المتين الذي يربط بين الطبقة العمالية في الاقطار الثلاثة في نطاق جامعة نقابية شمال افريقية ، وهكذا يمكننا تنظيم جامعة نقابية شمال افريقية قادرة على الدفاع بصفة ناجعة عن مصالح الطبقة العمالية في الاقطار الثلاثة ذات المصير المشترك)) [2].

---

(1) المختار ، مصدر سابق، ص88.

(2) بن حميدة، مصدر سابق، ص48.

أكد حشاد هذه الحقيقة في كانون الثاني عام 1947 بقوله :((ان انجاز تكوين الرابطة النقابية لافريقيا الشمالية اصبحت مطمح كل عامل من عملة الاقطار الثلاثة الذين يشعرون بوجوب تكتلهم للقيام بواجباتهم نحو اوطانهم التي تشملها مصلحة واحدة ومستقبل واحد))[1].

ناضل حشاد في سبيل تحقيق وحدة الاقطار المغربية من خلال تحقيق الوحدة بين نقاباتها[2]، وعلى هذا الاساس اكد الاتحاد العام التونسي للشغل ضرورة التضامن بين الاقطار المغربية، ففي اذار عام 1947 وجه الكاتب العام للاتحاد نداء الى العمال المغاربة جاء فيه: ((ان حظ شغالي افريقيا الشمالية مشترك هم يشتكون من نفس الالام ويقاومون نفس الاعداء ولذلك لن يتسنى لهم النجاح الا بتحقيق وحدتهم واشتراكهم في بذل ما لديهم من القوى واخلاصهم في سبيل انتصار قضيتهم المشتركة. ولذا فان الاتحاد العام التونسي للشغل، اول منظمة نقابية مستقلة في أفريقيا الشمالية، يوجه ندائه الى كافة الشغالين الشمال افريقيين، مهما كانت وضعيتهم، لينظموا داخل نقابات مستقلة بجميع أنحاء الجزائر والمغرب -عمال الصناعة والتجارة والفلاحة وأعوان المصالح العامة وموظفي الادارات والبلديات، وهذه النقابات تتكون منها اتحادات جبهوية ومركزية حتى يسرع اليوم الذي تتأسس فيه من الاتحادات الجزائرية والمغربية والتونسية الجامعة النقابية الشمال

(1) مالكي، مصدر سابق، ص366.

(2) محمد عابد الجابري، "تطور فكرة المغرب العربي وقائع وافاق"، مجلة دراسات عربية، العدد 7، السنة التاسعة عشرة، (بيروت، 1983، ص 89.

أفريقية أثناء مؤتمر تاريخي وتأخذ بيدها حظوظ شغالي أقطارنا الثلاثة(الجزائر- المغرب- تونس) وهكذا تدل الطبقة الشغيلة الشمال أفريقية شعوبنا على طريق الوحدة))[1]

وقد كشف هذا النداء والمحاضرة التي القاها حشاد عن الابعاد المغربية لعمل الاتحاد العام التونسي للشغل ومسيرته ومن خلال رئيسه، فرحات حشاد وايمانه المطلق بالحتمية التاريخية لارساء العمل النقابي المغربي بفضل اتصالاته المباشرة مع القيادات المحلية ومحاضراته وخطبه وافكاره[2].وقد صرح حشاد في محاضرة القاها في مقر طلبة شمال افريقيا في اذار 1947، مخاطباً الطلبة بقوله: ((ان مصير عمال شمال افريقيا واحد انهم يعانون من المصاعب نفسها ويناضلون ضد الخصوم نفسهم ولا يستطيعون النجاح الا ببناء وحدتهم ... ينادي كل عمال شمال افريقيا من كل الفئات ، لينظموا في نقابة مستقلة، في كل المدن والمراكز في الجزائر والمغرب ... نفس هذه النقابات يجب عليها ان تتجمع في الاتحادات الجزائرية والمغربية والتونسية وذلك في مؤتمر تاريخي، ويكون بامكانها ان تتحكم في مصير عمال شعوبها الثلاثة... ستعرف الطبقة العمالية الشمال افريقية كيف تقود شعوبها نحو الوحدة)) [3].

كان لذلك التوجيه اثره الواضح في العمال المغاربة وادى ذلك الى تضامن عمال المغرب مع العمال التونسيين في أثناء الاضراب الدامي يوم الرابع من اب 1947، الذي حدث بسبب الصدامات التي وقعت بين العمال التونسيين والقوات الفرنسية في

---

(1) بن حميدة، مصدر سابق، ص249-250.

(2) كفاح كاظم الخزعلي،" الاتجاهات الوحدوية المعاصرة"، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، العدد 40، السنة 14،(بغداد،1989)ص78-83.

(3) المختار، مصدر سابق، ص88-89.

صفاقس.وقد عبرعمال المغرب عن ذلك في برقية رفعت الى الاتحاد العام التونسي للشغل معلنين احتجاجهم الشديد ضد تدخل القوات العسكرية الفرنسية لافشال ذلك الاضراب[1].ونتيجة لذلك ازدادت ثقة العمال المغاربة باتحادهم (اتحاد العمال المغربي)اكثر فأكثر وطالبوا عن طريقه برفع اجورهم محذرين من اعلان اضرابهم العام في حالة عدم الاستجابة لمطاليبهم واعادة تضامنهم مع العمال التونسيين[2].

حيا الاتحاد العام التونسي للشغل هذه الوقفة الشجاعة من العمال المغاربة واتحادهم العام في المؤتمر الثاني في العشرين من كانون الاول 1947، وعبر من خلاله على ضرورة وحدتهم وتضامنهم بتوثيق الصلات بين الحركات النقابية المغربية[3]، لذا فان الاتحاد العام التونسي للشغل هو اول منظمة نقابية عمالية مستقلة يوجه نداءه الى العمال في المغرب العربي ويدعوهم للانضمام داخل نقابات مستقلة في الجزائر والمغرب سواء كانوا عمال صناعة أم فلاحة(زراعة) أم تجارة أم موظفين في البلديات أم الادارات المحلية، لتكوين نقابات او اتحادات مركزية حتى تتأسس (جامعة نقابية شمال افريقية) وتأخذ بيد عمال اقطارها الشقيقة الثلاثة، وهكذا تدل الطبقة العاملة في المغرب العربي شعوبها على طريق الوحدة[4].

(1) المصدر نفسه، ص89-90؛ العطار، مصدر سابق، ص133.
(2) بويحيى، مصدر سابق، ص17.
(3) محمد عابد الجابري واخرون، وحدة المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ،(بيروت، 1987)، ص 233.
(4) ابن حميدة، مصدر سابق، ص48.

بدأ حشاد يعمل بجد وتفان من اجل وضع دعوته في توحيد الحركة العمالية في المغرب العربي موضع التطبيق[1]، موظفآ افكار الاتحاد العام التونسي للشغل وجهوده لخدمة القضية الوطنية ذات الافق المغربي اذ كان التداخل واضحآ بين العمل الوطني والعمل المغربي في فكر الاتحاد التونسي وسلوكه[2]. حيث واصل الاتحاد دعواته التوحيدية كما عبر المؤتمر الثاني، الذي اكد أهمية التضامن المغربي عند قادة الاتحاد كما ارسل تحياته الاخوية الى ((الطبقة العاملة الشمال افريقية)) ودعاهم الى التضامن مع الشعب في كفاحه ضد الاحتلال وسياسة الاقامة العامة الفرنسية[3].

واكد المؤتمر الثالث في نيسان 1949 ضرورة تنسيق الاعمال النقابية في المغرب العربي وذلك ضمن برنامج عمل محدد واقامة مؤتمر نقابي للمغرب العربي لتكوين ((جبهة عمال شمال افريقية)) [4]، وطالب الاتحاد بتأميم المؤسسات الكبرى ذات المصلحة العامة، ورفع المستوى الثقافي والاجتماعي للشعب عن طريق التعليم الالزامي، وقد اكد الاتحاد وقياداته ان هذه المطاليب لن تتحقق الا بالكفاح الوطني لتحقيق الاستقلال الوطني حتى تتحرر

---

(1) عبد السلام ابراهيم بغدادي، الوحدة الوطنية ومشكلة الاقليات في افريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1993)، ص64.

(2) وليم سارة، الاستعمار الفرنسي يضطهد الحركة النقابية في الجزائر، ترجمة وليم سارة، مقدمة عمر السباعي الاتحاد العالمي للنقابات ، توزيع دار الفكر، (ب.د ، ب.م)، ص35 ؛داهش، اتجاهات العمل الوحدوي، ص48.

(3) داهش، المصدر نفسه، ص49. و ابن حميدة، مصدر سابق، ص48.

(4) المختار، مصدر سابق، ص90؛ ابن حميدة، المصدر نفسه، ص49.

البلاد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً[1]، كان هدف الاتحاد العام التونسي للشغل خلق ارضية لالتقاء النقابيين التونسيين والجزائريين والمغاربة في سبيل خوض نضال مشترك عن طريق وحدة العمل بين الاقطار الثلاثة وذلك بالدفاع عن مصالح الطبقة العاملة فيها وتوحيد صفوفها لمواجهة الاحتلال[2]. وهي محاولة لتفكيك المنظمات النقابية الفرنسية وازالتها من اقطار المغرب العربي عن طريق مساعدة العمال الوطنيين الجزائريين والمغاربة على تكوين منظمات مستقلة عن الفرنسيين[3]، حيث اكد المؤتمرون بالقول: ((ان نجاح حركتنا لايمكن ان تنتهي الا متى ما حصلت الطبقة العاملة الشقيقة على حقوقها وان هذه الحقائق تجعلنا نهتم بكل ما يلاقيه اخواننا العمال في المغرب والجزائر من عراقيل ومظالم فضلاً عما تربطنا واياهم من علاقات اخوية وتضامن في العمل والكفاح الذي نريد بفضله التحرر من جميع انواع العبودية ومن الاستبداد والاستعمار))[4]. وهذا ماحصل حيث وجه المجلس القومي للاتحاد في الخامس عشر من كانون الاول/1950، رسالة الى الجامعة العالمية للنقابات يرفض فيها مشروعهم (وهو الانضمام الى الجامعة النقابية الفرنسية C.G.T) واستبشر بقيام العمال المغاربة بالتظاهر في باريس منفصلين عن العمال الفرنسيين وتكوينهم لجنة نقابية خاصة بهم[5]. واكد المؤتمرون العمل من اجل توحيد العمل النقابي، وهو اهم هدف من اهداف الاتحاد العام التونسي للشغل.

(1) التميمي، مصدر سابق، ص45.
(2) المختار، مصدر سابق، ص90.
(3) هي محاولة الاتحاد تطبيق تجربته على دول المغرب العربي التي بدأت على يد القابسي مروراً بحشاد.
(4) بو يحيى، مصدر سابق، ص18.
(5) ابن حميدة، مصدر سابق، ص49.

ولم يحل عام 1951 حتى غدا البعد المغربي في فكر الاتحاد العام التونسي للشغل وعمله واضحآ وبلغ أوجه، حيث وقع اضراب عام احتجاجآ على القمع الفرنسي في المغرب الاقصى فأكد الاتحاد العام التونسي للشغل هذا الاتجاه التوحيدي على لسان زعيمه حشاد في المؤتمر الرابع اذ قال : ((ان الوحدة المغربية شيء واقعي وعميق لاجغرافي فقط وانما وحدة في المصاب الذي سلطه الاستعمار على اقطارنا المغلوبة على امرها، ووحدة الكفاح المجيد في سبيل الحرية والعدل في العمل الذي سيفضي في نهاية الامر بفضل جهاد الشعوب المغربية وتضحيتها الى الفوز بحياة العزة والكرامة)) [1].

يلاحظ في غالب خطابات الزعيم النقابي حشاد اشارة واضحة الى ضرورة توحيد الطبقة العمالية، ثم ضرورة تكوين جامعة نقابية من اقطار المغرب العربي (تونس -الجزائر-المغرب)حتى تتوحد كلمة العمال في سبيل رفع مستواهم الاجتماعي ولغرض طرد الاستعمار الفرنسي من البلدان الثلاثة، حيث يذكر الهرماسي ((ان حظ بلدان افريقيا الشمالية الثلاثة مشترك ووثيق الارتباط وقضيتها واحدة على وجه الاطلاق وعلى هذا يجب احكام الرباط الاخوي المتين الذي يربط الطبقة العاملة في الاقطار الثلاثة في نطاق جامعة نقابية شمال افريقية. اعداد مستقبل افضل لمساهمتها مساهمة ناجحة في اقامة نظام اجتماعي يحقق حاجيات الطبقة الكادحة في افريقيا الشمالية))[2].

ولم تكن السلطات الفرنسية في الحقيقة غائبة عن كل تلك الاحداث ولم تكن راضية، لان حشاداً بدأ يسحب البساط من تحتها تدريجيآ ليس من تونس فحسب بل من المغرب

---

(1) المختار، مصدر سابق، ص91.

(2) محمد صالح الهرماسي، تونس والحركة العمالية في نظام التبعية والحزب الواحد(1956-1986)، دار الغرابي،(بيروت ،1995)، ص194.

العربي ككل، اذ اعتمد حشاد في نضاله الوطني على طبقة العمال وهي الطبقة الغالبة في البلاد، وبفضله اصبح التيار الوطني المعادي للاستعمار الفرنسي في اوجه، بعد موجة القمع الذي لاقته الحركة النقابية المغاربية بالتسريح التعسفي والاعتقالات المتواصلة للقادة النقابيين بين الحين والاخر فقد استطاعت الحركة النقابية المغربية ان تثبت وجودها وان تستقطب العمال من داخل المنطقة وخارجها وان توحد نضالها لتصبح قوة اجتماعية مؤثرة لايمكن تجاهل دورها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي اذ شعر الاستعمار وعملاءه في الداخل بخطورة نشاط الحركة النقابية المغربية، بقيادة حشاد فدبروا اغتياله في الخامس من كانون الاول 1952 [1].

كان صدى الاغتيال عنيفاً على صعيد المغاربة، ففي الدار البيضاء وجميع المدن المغاربية اعلن الاضراب العام احتجاجاً على اغتيال الزعيم النقابي الذي اعتبر ضربة موجهة لوحدة الحركة النقابية في المغرب العربي.فقد قرر الاتحاد العام للنقابات المغربية باتفاق مع حزب الاستقلال المغربي اعلان الاضراب لمدة يوم واحد على فرحات حشاد[2]، الزعيم النقابي التونسي واستنكار حادث اغتياله واصدر الاتحاد نداء ندد فيه بهذا العمل ودعا الى اعلان الحداد والاضراب يوم الثامن من كانون الثاني/ 1952[3]. ففي الدار

(1) التميمي، مصدر سابق، ص50؛ المختار، مصدر سابق، ص92.

(2) كفاح كاظم عكال الخزعلي، حزب الاستقلال ودوره السياسي في المغرب العربي 1944-1956، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية الاداب (البصرة،1983)ص179-181.

(3) اتحاد المغرب العربي، المهرجان الشعبي لاحياء الذكرة الذهبية لاحداث 1952 بالدار البيضاء للتضامن مع الشعب التونسي۔ اثر اغتيال فرحات حشاد ، كلمة السيد الحبيب بو لعراس امين اتحاد المغرب العربي، www. Maghrebarabe. org، (الرباط،2002)؛ الخزعلي، مصدر سابق، ص179.

البيضاء اضرب عمال السكك ووقعت صدامات بينهم وبين الشرطة، مما أودى بحياة 500 شهيد وجرح المئات، ازاء هذا الموقف قررت الجماهير العمالية عقد تجمع لمواجهة الموقف فاعتقل على اثرها ثلاثة من القادة النقابيين وهم الطيب بو عزة ومحمد التيباري وبلعيد بن عبد الله وقد عقد التجمع في المركز العام للنقابات، وضم الاف العمال والقيت فيه الخطب لكن السلطات الفرنسية حاصرت التجمع واعتقلت النقابيين، وعلى اثرها حل حزب الاستقلال واقفلت بعض الصحف[1].

بينت الاضرابات التي وقعت في المغرب تأكيد الروح الوحدوية الراسخة في نفوس المغاربة ووحدة الكفاح والمصير في كلمة لمصطفى الكثيري المندوب السامي لقدماء المقاومين واعضاء جيش التحرير في التاسع من كانون الاول 2004، بمناسبة مرور 52 سنة على اغتيال فرحات حشاد اذ قال : ((لم تكن مجرد ادانة لجريمة اليد الحمراء او موقف لطبقة العمال والمناضلين الوطنيين وانما كانت برهاناً على مايكنه المغاربة لاخوانهم بسائر الاقطار المغاربية من مشاعر الاخوة المتبادلة))[2]، وكان الاتحاد العام التونسي للشغل في كل

(1) مثل صحيفة العلم والراي العام والمغرب والاستقلال ورسالة المغرب انظر :الخزعلي ، المصدر نفسه، ص180.

(2) مصطفى الكثيري، احداث 1952 بالدار البيضاء ملحمة تاريخية تأكد تشبث المغاربة بوحدة المغرب العربي الكبير ، www.Arabe.menara. com.

مؤتمر وفي كل مناسبة يؤكد ضرورة النضال من اجل تخليص الوحدة في المغرب العربي من كل المعوقات التي تصادفها والتي من شأنها ان تؤخر هذا الهدف المنشود[1].

وفي الجزائر حدثت اضرابات مشابهة ففي التاسع من كانون الاول 1952 اعلنت الاضرابات في العاصمة الجزائرية ووهران ونظمت مظاهرات احتجاجية على اغتيال حشاد، وعقدت الاجتماعات العامة في اغلبية المدن الجزائرية[2]، وعلى الرغم من وفاة الزعيم النقابي الا ان قادة الاتحاد لم يتخلوا عن واجباتهم ومبادئهم اذ حرصوا على تدعيم العلاقات مع نقابات المغرب العربي، خاصة في اطار الجامعة العالمية للنقابات الحرة، ففي اوائل 1953 حصلوا على منحة من هذه المنظمة ساعدتهم في اعداد دروس باللغة العربية حول تنظيم النقابات وادارتها، وحضر هذه الدروس 23 نقابياً تونسياً و 10 من ليبيا[3]، وقد

(1) ابراهيم سعد الدين ومحمود عبد الفضيل، انتقال العمالة العربية المشاكل والاثار السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1991) ص76 ؛البيان الختامي للاتحاد العام التونسي للشغل في 22-23/جانفي/2004، www.agtt.org .

(2) كفاح عباس رمضان، وحدة المغرب العربي الفكرة والتطبيق 1958-1995، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب قسم التاريخ، جامعة الموصل،(الموصل2002)، ص20؛ روم لاندو ، تاريخ المغرب في القرن العشرين ، ترجمة نيقولا زيادة مراجعة انيس فريحة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (بيروت 1980)، ص362؛ اسماء العريف ، وحدة المغرب العربي دروس في التاريخ ، مجلة المنار، العدد 19، السنة الثانية،(باريس 1986)، ص140-145.

(3) محمد البشوش، "الوعي القومي في الاوساط الجامعية في المغرب العربي مثال تونس"، مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة كتب8، في مجموعة بحوث نشرت في كتاب تطور الوعي القومي = = في المغرب العربي مصطفى الفيلالي ومجموعة مؤلفين،(بيروت ، 1986)، ص306؛ ممدوح حقي، ليبيا العربية كأنك تعيش فيها ، دار النشر للجامعيين،(ليبيا ،1962)، ص149.

تقدم الاتحاد بشكوى الى المجلس الاقتصادي في المؤتمر الثالث للجامعة العالمية للنقابات الحرة بسبب التعدي على الحريات النقابية في تونس والمغرب الاقصى[1].

وفي المؤتمر الخامس للاتحاد العام التونسي للشغل الذي عقد في تموز 1954، وبعد تعيين احمد بن صالح بدل الشهيد حشاد امينآ عامآ للاتحاد، أخذ العمل الاتحادي يأخذ طابع الشدة والصلابة، فأكد ضرورة توحيد الصفوف اذ قال: ((سنعمل على انشاء نقابات حرة بالشمال الافريقي لمقاومة الاستعمار البغيض.))[2]. فكان ذلك حافزآ لانشاء نقابة حرة في المغرب مستقلة عن الاتحاد العام لنقابات العمال الفرنسية في المغرب واصبح العمال المغاربة باسم (الاتحاد المغربي للشغل) الذي أسس عام 1955[3]، وكان الاتحاد العام

---

(1) وثيقة المؤتمر الدولي الثالث للجامعة الدولية للنقابات الحرة،

C.E.S.L- TEOISIEMC CONGRES MONDIAL RESOLUTION SUR LA LUTTS CONTER LOPERESSION COLONIALE ET LA TUNISI

الجمهورية التونسية، الوزارة الاولى، وثائق اساسية، الارشيف الوطني، www.archives. net.tn\Ar.

(2) المختار، مصدر سابق، ص93.

(3) سمير امين، المغرب العربي الحديث، ترجمة ق.داغر ، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر، (بيروت، 1981)، ص254.

التونسي للشغل اول المهنئين للنقابيين الوطنيين في المغرب كما وقدم دعمه لهم خاصة بعد الاستقلال 1956[1].

وبانعقاد المؤتمر السادس للاتحاد العام التونسي للشغل في العشرين من اذار/1956 فقد أكد أهم مبادئه في الوحدة لابناء المغرب العربي، وكانت تعتلي منصة المؤتمر باعلام (الجزائر -المغرب- تونس-ليبيا)، وجاءت في التقارير المقدمة للمؤتمر حول قضية تحرير الجزائر ما نصه ((كفاح الجزائر كفاحنا القومي وانتم على علم بموقف الشعب التونسي بأسره والاتحاد من ضمنه ازاء كفاح الجزائر الباسلة فالتأكيد مطلق في جميع الميادين في الداخل والخارج))[2].

كما أسهم الاتحاد التونسي لدى الجامعة العالمية للنقابات الحرة لمساعدة الاتحاد العام للعمال الجزائريين على الموافقة لقبول انتسابه اليها بوصفه أحد الاعضاء بل أسهم الاتحاد التونسي على مساعدة الثوار الجزائريين بالسلاح وكان على رأسهم احمد التليلي قام التليلي بنقل السلاح في شاحنات الحرس الوطني التونسي لمساعدة الثوار في الجزائر[3].

ان ارتباط الاتحاد المغربي للشغل بالنقابات التونسية والجزائرية كان له الاثر الكبير في ضرورة ارساء قواعد للنضال المشترك في اقطار المغرب العربي اذ عارض الاتحاد المغربي للشغل انزال الاسلحة والعتاد الحربيين للسلطات الفرنسية في المغرب خلال سنة 1956،

(1) بيان الاتحاد العام التونسي للشغل ، الذي اكد وحدة عمل المغاربة ، المؤتمر الرابع للاتحاد a www.agtt.org، ،(تونس،2004).

(2) ابن حميدة ، مصدر سابق، ص52.

(3)بويحيى ، مصدر سابق، ص20-22

وكان ذلك البداية لوضع الخطط الكفيلة بانشاء اتحاد مشترك لعمال المغرب العربي[1]، وعلى الرغم من تلك الدعوات والمواقف المغربية لتحقيق وحدة القوى العاملة في اقطار المغرب العربي وانشاء جامعة موحدة لهم، والدعوة لوحدة المغرب العربي، فان ذلك لم يتحقق، وجاءت المرحلة الاستقلالية بعد عام 1956 لتكشف عن أبعاد أخرى[2].

ثانياً:نشاطات الاتحاد العربية(1946-1956):

نشأت بين الاتحاد العام التونسي للشغل علاقات قوية مع الاشقاء في العديد من الاقطار العربية، فكانت هناك علاقات قوية بين عمال القطرين التونسي والمصري نتيجة للرابط الديني والقومي والوطني الذي تناول النضال من اجل الاستقلال ورفع المستوى الاجتماعي للعمال، وقد توطدت هذه الاواصر وتأصلت بعد المؤتمر التأسيسي للجامعة النقابية العالمية في باريس في الخامس والعشرون من ايلول 1945 الذي اشترك فيه ممثلون عن النقابات المصرية والتونسية [3]، وجرت خلال هذا المؤتمر اتصالات ولقاءات لتنسيق العمل والمواقف وسبل تطويرها[4]، وفي منتصف تموز من عام 1946 دعت اللجنة الوطنية

(1) المختار، مصدر سابق، ص95.

(2) نازلي معوض واحمد يوسف، ندوة المغرب العربي"، مجلة المستقبل العربي، العدد 107،(بيروت، 1988)، ص136.

(3) سالم بو يحيى، العلاقات بين عمال تونس ومصر 1945-1958، المجلة التاريخية المغربية، السنة 16، ا لعدد53-54، طبع الشركة التونسية لفنون الرسم،(تونس،1989)، ص7.

(4) لقد كان الحاضرون من القطر التونسي والمصري وهم اليساريون ، فقد حضر عن القطر التونسي (منظمة الاتحاد الاقليمي) التي كانت تحت سيطرة الشيوعيين ، اما الحاضرون عن القطر المصري فهما

للطلبة والعمال التونسيين الى تنظيم اضراب عام معاد لبريطانيا بمناسبة مرور 64 عاماً على احتلالها لمصر، فأولت ((منظمة الاتحاد الاقليمي)) اهتماماً كبيراً لما كان يحدث في مصر وما تعرضت له الطبقة العاملة من اضطهاد وقمع، وعبرت عن تضامنها مع العمال المصريين، في المقابل فقد شجب العمال المصريون اعمال القمع التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في حزيران 1946 في صفاقس وزرامدين بحق العمال التونسيين[1].

أبدى الاتحاد العام التونسي للشغل ومنذ وقت مبكر من تأسيسه اهتماماً متزايداً بالحركة النقابية المصرية اذ اهتم (مركز البحوث الاقتصادية والنقابية) الذي أنشأه الاتحاد العام التونسي للشغل في نهاية عام 1946، في جميع المدن الكبرى بالقطر التونسي وكان ينظم محاضرات نقابية تتناول موضوعات مختلفة، اهتم هذا المركز بالبحث في تاريخ الحركة النقابية المصرية. كما أن تلك العلاقات تطورت بارتباط مواقف عمال القطرين تجاه بعضهم بالجانب القومي والوطني، الذي يتجاوز حدود الطبقات العامة في القطرين الى علاقات بين شعبين شقيقين يمران بأزمات يستدعي واجب كل منهما الوقوف بجانب شقيقه لمساعدته على تخطيها[2]

تطورت تلك العلاقات عام 1947 بوقوف الشعب المصري الى جانب شقيقه التونسي لتخليصه من ازمة المجاعة التي حلت به، اذ أرسل الشعب المصري باخرة محملة

اليساريان محمد يوسف المدرك وداؤود نحوم، اللذان كان لهما رأي يساري من الاتحاد العام التونسي للشغل حيث كانوا معارضين قيام اتحاد خاص بالعمال التونسيين مستقلين عن (C.G.T) في وقت كانوا ساعين لتوحيد الحركة النقابية العالمية ، ليكون اكثر فاعلية في نظرهم، المصدر نفسه، ص8.

(1) المصدر نفسه، ص9.

(2) بويحى، العلاقات بين عمال تونس ومصر، ص10.

بالقمح لكن السلطات الفرنسية منعت الباخرة من انزال حمولتها بل أجبرتها على العودة لمصر، الا ان هذه الحادثة كانت دليلاً على ترابط الشعبين الشقيقين ودعماً قوياً لنضالهما من اجل اخراج المحتل، فكان هذا الشعور الاخوي متبادلاً فمثلما ساند المصريون أشقاءهم التونسيين، ساند التونسيون اخوانهم المصريين اثر ظهور وباء الكوليرا حيث بادرت الجامعة الوطنية للصحة التابعة للاتحاد العام التونسي للشغل للذهاب الى مصر والمشاركة في مقاومة الوباء، وقد اشار الاتحاد العام التونسي للشغل الى هذه القضية في مؤتمره الثاني الذي عقد عام 1947[1].

ساند الاتحاد وزعيمه حشاد الشعب المصري ومنذ عام 1948-1949 في نضاله ضد الانكليز الى جانب مساعدة الاتحاد بقبول النقابة المصرية في الجامعة النقابية العالمية مما اعطى لتلك العلاقات دعماً قوياً مع تصاعد اعمال القمع التي مارستها السلطات المصرية المتعاونة مع البريطانيين بهدف القضاء على قادتها ولم تسمح لممثلي النقابة المصرية (الجامعة النقابية العالمية) في المشاركة في اعمال مؤتمرها الثاني في ميلانو في العاشر من تموز/1949 مما اثار ذلك عاطفة العمال التونسيين فقد اشار حشاد اليها في خطابه : ((ان اخواننا في مصر يعانون للاسف من عسف هذه السياسة المعادية للطبقة العاملة، ويجب علينا ان نحيي شجاعتهم وصلابتهم في النضال الذي يخوضونه بالرغم من المناورات الرجعية التي تصدر عن عقلية متخلفة الى الابد))[2].وقد اشار حشاد الى وجوب مساعدة العمال العرب وتنظيم

(1) بو يحيى ، مصدر سابق، ص11.

(2) رؤوف عباس حامد، "حركة التأليف في مجال العمل والعمال من واقع القائمة البيليوجرافية للدراسات العمالية"، مجلة الكتاب العربي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، العدد 40، (القاهرة، 968)، ص65؛ المصدر نفسه، ص14.

نقاباتهم وحرية تمتعهم بحق الاضراب وادان الحكومة المصرية مما يعانيه العمال المصريون من اضطهاد وقمع السلطة.وحين نظمت منظمة الامم المتحدة مؤتمرها الاجتماعي في القاهرة في تشرين الثاني 1950، رحب به الاتحاد وزعيمه حشاد وأكد حضوره وطرح المشاكل وايجاد الحلول المناسبة لها، لكن السلطات الفرنسية منعت حشاداً من السفر وضيعت الفرصة للحيلولة دون استمرار العلاقات المصرية التونسية، وحتى ان انسحاب الاتحاد العام التونسي للشغل من الجامعة النقابية العالمية وانضمامه الى الجامعة العالمية للنقابات الحرة، لم تمنعه من الاهتمام بما كان يجري على الساحة المصرية ولم يتخل عن موقفه المؤيد والمساند للطبقة العاملة المصرية حتى أن حشاداً طلب من الجامعة العالمية للنقابات الحرة ان تتدخل عام 1951 من اجل مساندة الشعب المصري ومساعدته في نضاله ضد الاحتلال البريطاني وحل النزاع المصري البريطاني حول مسألة قناة السويس والسودان[1]وقام قادة الاتحاد العام التونسي للشغل بزيارة القاهرة مثل احمد التليلي وحشاد ومحمود المسعدي[2]، في سبيل المساعي التي يبذلها الاتحاد لسحب الحركة العمالية في مصر الى

(1) KRAIEM Mustapha," aluGTT et le Moavement syndical maghrebin avant Iassassinat de Farhat Hached "Revule de Histoire Maghre bine 7eme annee (17-18)ianvier, Tunis 1980, p.42.

(2) محمود المسعدي: ولد بتازركة في ولاية نابل في 28/ كانون الثاني/ 1911 وتوفي في 2004 ودرس في المعهد الصادقي وجامعة السوربون ، وحصل على شهادة اللغة والاداب العربية 1936 والدراسات العليا 1946 والمتريز 1947 والدكتوراه 1948 ، اما نشاطاته السياسية فقد انضم في= =1933 للحزب الحر الدستوري وتقلد مناصب سياسية منها رئيس الجامعة القومية للنقابات للنقابات التعليم ، وامين عام مساعد للاتحاد التونسي للشغل ، عضو اللجنة التنفيذية للامانة المهنية العالمية للتعليم ، اصبح عضواً في مجلس امة ، مدير التعليم ثانوي لوزارة المعارف ومفتش للتعليم ، وزير=

الانضمام للجامعة العالمية للنقابات الحرة، ومع قيام ثورة تموز 1952 طلبت الجامعة العالمية للنقابات الحرة من الاتحاد العام التونسي للشغل، القيام بحملة لصالحها في مصر والسودان، فقام احمد بن صالح ممثلآ عن الاتحاد التونسي ودنبروك ومساعده بيكر ممثلين عن الجامعة العالمية بزيارة مصر[1].

وبين عامي 1953 و1954 كان هناك نوع من البرود في العلاقات بين عمال الدولتين.حيث كانت تونس تمر بأزمة داخلية في الاتحاد العام التونسي للشغل بعد اغتيال حشاد فضلاً عن ظروف الاستقلال. اما في مصر فقد كانت الاوضاع متوترة مع الانكليز بين المد والجزر، والاتفاقيات بين الجانبين حول انسحاب الجيش البريطاني من مصر.وبين عامي 1955-1956 قام بودالي وهو ممثل الجامعة العالمية للنقابات الحرة بزيارتين الى مصر في تشرين الاول عام 1955، لمساعدتهم على تكوين منظماتهم النقابية، ثم استدعي لحضور اجتماع الهيئة الادارية لاتحاد العمال المصري و يضم جميع الاتحادات النقابية في مصر، الذين قرروا زيارة جميع الاقطار العربية وفي مقدمتها تونس 1956[2].

لا توجد في الحقيقة الكثير من المصادر للحديث عن العلاقات النقابية بين عمال ليبيا وتونس، لكن توجد بعض الاشارات يمكن ان توضح لنا مدى اهتمام الشهيد حشاد بليبيا التي يمكن عن طريقها ان يؤدي دورآ في توحيد الحركة النقابية العمالية في الوطن العربي عن طريق الجامعة العالمية للنقابات الحرة حيث ايد حشاد اللائحة الخاصة بتكوين منظمة تابعة

=للتربية القومية ، وزير الشؤون الثقافية اسس مجلة الحياة ، وترأس اللجنة التونسية باليونسكو، انظر: ديوان العرب، مجلة فكرية ثقافية ادبية شهيرة ، كانون الاول 2004،.www.Diwan alarab.com

(1) سالم بو يحيى، مصدر سابق، ص19.

(2) بو يحيى، مصدر سابق،، ص21.

للجامعة في منظمة الشرق الاوسط مطالباً اياها جميع اقطار المشرق والمغرب العربي عن طريق ليبيا، وخاصة بعد حصول ليبيا على استقلالها السياسي في مطلع عام 1952، مع العلم ان الحركة الوطنية لم تكن فاعلة في رسم مستقبل البلاد الليبية، فقد استمرت الادارة البريطانية والفرنسية تديران البلاد حتى نهاية عام 1951 حيث تقرر وعبر منظمة الامم المتحدة اعطاء ليبيا استقلالها [1]، مع العلم ان ليبيا هي حلقة الوصل بين عمال المشرق والمغرب الذين كانوا مفترقين عن بعضهم بسبب الحواجز الجغرافية فضلاً عن النظام السياسي المفروض على ليبيا[2]، وقد اكد حشاد عن استعداد منظمته لان تساعد في انجاز مهمته في ليبيا والمشرق العربي، وتقديم الدعاية النقابية والوفود في تلك المناطق التي يحتاج اليها العمال العرب لتنظيم انفسهم، من اجل تحقيق مطالبهم الاجتماعية وتحسين ظروف عملهم وحياتهم التي يطمحون الى تحقيقها [3].

كان بورقيبة أكثر اهتماماً من غيره باجتذاب ليبيا الى المغرب العربي الكبير خاصة في الاوقات التي كانت تسوء فيها العلاقات مع مصر، غير ان الاتجاه السلبي الذي ساد العلاقات الخارجية مع ليبيا في أثناء الحكم الملكي حال دون التحاق ليبيا بمشروعات المغرب الكبير اللهم الا اذ استثنينا مشاركتها احياناً في بعض المباحثات الاقتصادية [4].

(1) داهش، في الاتجاهات الوحدوية، ص119.

(2) ابن حميدة ، مصدر سابق، ص50.

(3) بو يحيى، العلاقات النقابية المغربية، ص16.

(4) صلاح العقاد، الابعاد الجديدة للسيادة الخارجية التونسية، مجلة السياسة الدولية ، العدد 29، السنة الثامنة، يوليو 1972، ص155.

وتجلى تفاعل العمال التونسيين وتضامنهم مع القضية الفلسطينية وتأييدهم ودعمهم لها ولنضال العمال الفلسطينيين من اجل استقلال وطنهم اكثر، في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة من 1945-1948[1]، اذ حظيت القضية الفلسطينية باهتمام كبير من جانب الاتحاد العام التونسي للشغل وخاصة بعد تأسيسه[2]، لذلك سعى الاتحاد الى اقامة علاقات مع العمال العرب الفلسطينيين [3]، فاتخذ مواقف مؤيدة ومساندة للفلسطينيين واستغل جميع المناسبات لنصرة شقيقه الفلسطيني، واسس لجنة للدفاع عن فلسطين العربية وفرع المؤتمر الاسلامي بتونس لفائدة القدس الشريف[4].

ولم تفت الاتحاد فرصة دعوة جامعة الدول العربية في العاشر من ايار 1946، للاحتجاج ضد العدوان المسلط على الشعب الفلسطيني وناشدت الجامعة كل الاقطار

---

(1) سالم بو يحيى، العلاقات بين عمال تونس وفلسطين وموقف الطبقة العاملة من القضية الفلسطينية 1945-1956، المجلة التاريخية المغربية ، السنة 16، السنة العدد 55-56، طبع الشركة التونسية لفنون الرسم، (تونس، 1989)، ص18.

(2) كان المؤتمر التأسيسي للجامعة النقابية العالمية في 25/ايلول/1945، اول لقاء بين ممثلي العمال التونسيين والفلسطينيين.

(3) حيث قام مركز البحوث الاقتصادية والنقابية وهو مركز تابع للاتحاد العام التونسي للشغل ، بالتعريف بالطبقة العاملة العمالية الفلسطينية وبقضيتهم في محاضرات ودراسات عن تاريخ الحركة العمالية في فلسطين، وكان يمثلهم (الاتحاد النقابي للعمال العرب الفلسطنيين.

(4) مذكرات حسني صالح الخفش، حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية"، سلسلة كتب فلسطينية42، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث ،(بيروت ،1973)، ص69؛ بو يحيى، مصدر سابق، ص22.

العربية، واعتبر ذلك اليوم يوم (الغضب العربي). ولم يسكت الاتحاد العام التونسي للشغل عن قرار الامم المتحدة في التاسع والعشرون من تشرين الثاني عام 1947 عن تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، بل رفضه رفضآ قاطعآ، واعلن الاتحاد اضرابآ عامآ دام 3 أيام حاول الفرنسيون افشاله لكن دون جدوى[1]، وشارك الاتحاد في المؤتمر العربي الاسلامي الذي انعقد في الرابع من كانون الاول 1947 في جامع (صاحب التابع) في تونس، وأكد حشاد تضامن اتحاده مع عمال فلسطين وأبدى استياؤه لصدور قرار التقسيم، ووجه تحياته الاخوية للطبقة العاملة الفلسطينية لما يبدونه من نضال من اجل تحرير بلدهم[2].

ولم يقتصر موقف الاتحاد من قضية فلسطين على المساندة والتضامن بل تعداها في أثناء الحرب التي خاضها العرب ضد الكيان الصهيوني عام 1948 حيث تشكلت لجان في تونس واقطار المغرب العربي للقيام بما يتطلب من مهام التوجيه والتدريب وارسال الجنود والمعدات الى ارض فلسطين للانضمام الى القوات العربية واستطاع عدد من المقاتلين الوصول الى دمشق واشتركوا في القتال على الجبهة اللبنانية والسورية [3].ان العمال التونسيين شاركوا مشاركة فعلية سواء بالتضامن مع ابناء شعبهم أو بارسال المتطوعين للقتال ونصرة ابناء شعبهم الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني الغاصب الذي كانت تسانده بريطانيا ثم امريكا.

(1) الهادي التيموري، دور القضية الفلسطينية في تعميق الوعي القومي العربي في المغرب العربي مثال تونس، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد8 ،(بيروت،1986)، ص299-324.

(2) بو يحيى، المصدر نفسه، ص24.

(3) نحلة ، مصدر سابق، ص160.

كانت حرب 1948 كارثة على شعب فلسطين وطبقته العاملة الذين اجبروا على ترك العمل النقابي واندمجوا في النضال لطرد الغاصب المحتل، اذ شهد عام 1949 تحولآ خطيرآ وغير مفهوم في الوقت نفسه من لدن الاتحاد العام التونسي للشغل من القضية الفلسطينية، ومن الشعب الفلسطيني وخاصة في المؤتمر الثاني للجامعة النقابية العالمية، واذ كان موقف الاتحاد سلبيآ. ربما يعود الى عدة اسباب :-

- الهزيمة التي اصابت العرب 1948 التي على اثرها تم تكوين دولة اسرائيل.
- عدم حصول التونسيين على دعم قضيتهم من جامعة الدول العربية.
- ان موقف بعض الاتحادات النقابية (الشيوعية) المؤيد للحركة الصهيونية ولاسرائيل واعتبار العمال اليهود (الهستدروت)[1] عنصرآ تقدميآ في الشرق الاوسط.
- كان موقف ممثلي (العرب في الارض المحتلة) وهما توفيق طوبي ومنعم جرجورة سلبياً للغاية من قضية بلادهم ومن مواقف البلدان العربية حيث جاء في خطاب منعم جرجورة : ((اننا العمال العرب بفلسطين نعتبر ان الرجعية العربية، استجابة لاوامر الامبريالية الانكلو- الامريكية قد قاومت

(1) الهستدروت: وهي حركة نقابية صهيونية كانت تضم العمال اليهود تأسست عام 1920 ورفعت شعار عبرية العمل ويقصد بذلك اقصاء العمال العرب عن العمل في المشاريع اليهودية الزراعية والصناعية والهدف الاساسي لانشاء الهستدروت هو (سياسي) للسيطرة على فلسطين واستيطانها.للمزيد انظر:ابراهيم رضوان الجندي، سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية في فلسطين 1922-1929، د.م، د.ت، ص160-166.

قرار هيئة الامم المتحدة وقرارات التاسع والعشرين من تشرين الثاني 1947الخاصة بفلسطين وبدأت حرباً عدوانية ضد العمال العرب وضد الشعب العربي والشعب اليهودي.وحينما فشل الرجعيون في الحيلولة دون تأسيس دولة اسرائيل الحرة سعوا الى ايقاف نموها، الامر الذي نجم عنه بؤس شديد في اوساط السكان العرب. فقد تم اقتلاع مئات الالاف من العمال من مساكنهم ومن اماكن عملهم وهم الان مجردون من كل شيء.ومن اجل الاستمرار في تحقيق اهدافهم الشريرة، بدأ قادة الرجعية منذ تشرين الثاني عام 1947 بمهاجمة القوى الديموقراطية العربية ومن بينها المؤتمر النقابي العربي بفلسطين ويعتبر ذلك امراً طبيعياً جداً لان هذا المؤتمر يعمل جاهداً من اجل افشال المؤتمرات الامبريالية في فلسطين ويعمل كل ما في وسعه في سبيل تحقيق تعاون يهودي عربي لتكوين دولتين مستقلتين))[1].

وطوال أعوام 1949-1956 لم تكن هناك في الحقيقة اية اتصالات بين قادة الاتحاد العام التونسي للشغل وبين قادة الحركة النقابية الفلسطينية وذلك لانشغال الاتحاد العام التونسي للشغل بقضايا بلاده التحررية او تلاشي ما يسمى بالحركة النقابية الفلسطينية او بسبب انقطاع الاتصالات بين تونس وفلسطين وخاصة ما يهم الطبقة العمالية، او ربما كانت هناك علاقات طيبة مع الهستدروت نتيجة ضغوط الجامعة العالمية للنقابات الحرة[2]

(1) بويحيى، العلاقات بين عمال تونس وفلسطين، ص27.

(2) وفي اطار الاهتمام بالقضية الفلسطينية ، فقد توحدت الجهود وأسس في اذار 1956 الاتحاد الدولي للعمال العرب الذي لم يستدع الاتحاد العام التونسي للشغل في المشاركة في مؤتمره لكنه دعا الاتحاد الى الانضمام اليه ، لكنه رفض واتخذ موقفاً معادياً للاتحاد الدولي للعمال العرب ، وتحولت قضية فلسطين=

ثالثاً:نشاطات الاتحاد العالمية(1946-1956):

قرر الاتحاد العام التونسي للشغل، ومن خلال زعيمه فرحات حشاد الانفصال عن الاتحاد النقابي العالمي (F.S.M) والانخراط في الاتحاد العالمي للنقابات الحرة (S.I.S.L)، وبعد تأسسه بأشهر قليلة، في تموز عام 1951، جاء قرار الانفصال عن الاتحاد النقابي العالمي (بعد تحول الاخير) أداة لخدمة المصالح الاستعمارية، وعدم موافقة الشركات الاستعمارية على حق الاضراب وعدم تحقيقه أي مطلب من مطالب الاتحاد العام التونسي للشغل مثل تحديد ساعات العمل وحق الاضراب، وحق الحصول على الاجازات المرضية، وحق مساواة العمال التونسيين مع العمال الاوربيين[1]، انتخب فرحات حشاد عضواً في لجنته التنفيذية[2]، وقد حدد حشاد اهميتها بالقول: ((ان السيزل"الاتحاد الدولي للنقابات الحرة" موجودة في كل مكان عن طريق تنظيماتها المنتشرة في اوربا وامريكا واسيا وفي غيرها من الاماكن، وهي توصل صوت العمال حتى الى منظمة الامم المتحدة وتنسق مع اليونسكو مباشرة وبصورة نشيطة من اجل نشر برامج التعليم العام، المهني والاجتماعي عبر كل العالم.وهي تشارك باستمرار في اعمال المكتب الدولي للشغل (مكتب العمل الدولي) بجنيف الذي يسهر على تطور التشريع الاجتماعي المستمر ومشاركة اوسع للاجراء في تسيير المؤسسات.كما انها تهتم بصورة خاصة ببلورة مخططات النهوض الاقتصادي التي

=في نظر الاتحاد العام التونسي للشغل، مجرد قضية لاجئين تستدعي حلاً انسانياً.للمزيد انظر ، بويحيى، مصدر سابق، ص29-32.

(1) الاتحاد الدولي للنقابات الحرة، في بلدان الشرق الاوسط وشمال افريقيا، www.iftu.org، 2003.

(2) خطاب الاخ عبد السلام جراد ، الامين العام التونسي- للشغل بمناسبة زيارته الى الولايات المتحدة الامريكية، نيويورك ،6/ ايلول/2003، www.agtt.org. الاتحاد العام التونسي للشغل.

تربط الامم وتسهر على تنفيذها.وهكذا تصبح السيزل عاملآ يحرك الحياة الدولية ويؤثر تـأثيرآ كبـيرآ على القرارات التي يرتبط بها مصير الانسانية)) [1].

قرر حشاد ان يخوض نضاله في قلب العالم الغربي (الولايات المتحدة الامريكية) على الرغم مـن أن الحرب الباردة كانت في اوجها، وحضر في عام 1951 مؤتمر النقابات الامريكيـة (A.F.L) الـذي عقـد في سان فرانسيسكوا[2].وفي نيسان من عام 1952، قـام حشـاد قبـل اغتيالـه بزيـارة ثانيـة الى الولايـات المتحدة وأسهم اسهاماً فعالاً في توحيد الحركة النقابية الامريكيـة، مـما أدى الى تأسـيس(A.F.L-C.I.O) [3].

اثارت هذه الزيارة الاوساط الفرنسية فقررت منعـه مـن مغـادرة الـبلاد، فأثـار ذلـك احتجـاج الاتحاد الدولي للنقابات الحرة والنقابات الامريكية، حيث كان مقـررآ ان يسـافر الى نيويـورك ليحضرـ اجتماع اللجنة التنفيذية في كانون الاول عند ذلك تم اغتياله في الخامس مـن كـانون الاول1952 عـلى يد عصابة اليد الحمراء، بعد ان اصبح وجوده خطرآ يهدد الوجود الاستعماري ليس في البلاد التونسـية فحسب بل في المغرب العربي ككل، بعد ان اصبح زعـيمآ عماليـآ لـيس في المغـرب العـربي فقـط بـل في العالم.

ففي بروكسل صدر لحشاد مقال باللغة الفرنسية في مجلة صـن ثيسـز(Sun theses) قبـل سـنة من اغتياله، تحت عنوان الحركة النقابية في شمال افريقيا، تعرض فيه للوضع في

(1) مالكي، مصدر سابق، ص266-267.
(2) بيان الاتحاد العام التونسي للشغل ، الاحداث التـي وقعـت في شـيكاغوا بأمريكـا عـام 1889 والانخـراط بالجامعـة العالمية للنقابات الحرة، www.agtt.org، (تونس،2004).
(3) حشاد، الابعاد الدولية ، مصدر سابق، ص3.

المغرب الاقصى ثم الجزائر[1] واخيراً في تونس اذ قال : (يجد العامل نفسه في المغرب والجزائر وتـونس مضطلعاً بمسؤوليتين يجب عليه تأديتهما : اولهما التحرر الاجتماعي وثانيهما هي التحرر الوطني[2].

(1) للمزيد حول وضع العمال الجزائريين وما يعانونه من اضطهاد مـن الفرنسـيين، انظـر: الاتحـاد العـالمي للنقابـات، الاستعمار الفرنسي يضطهد الحركة النقابية في الجزائر، مكتب النشر والثقافة العمالية، (الجزائر، بلا)ص26-28.
(2) ابن حميدة، مصدر سابق، ص50.

الخاتمــة

الخاتمة

يعد الاتجاه الاجتماعي، والحركة العمالية من ضمنه، من أبـرز الاتجاهـات في النضـال الـوطني ضد الاستعمار وسياسته تجـاه الشـعوب، ذلـك أن المعانـاة الخاصـة (التمييـز الاجتماعـي والتمييـز في الاجور وغيرها)، تدفع وفي ظل المعاناة العامـة للشـعب مـن الاحـتلال وسياسـته، الى تشـديد النضـال لانتزاع الحقوق الخاصة والعامة، وتداخل الاثـنتين معآ في النهاية، ويدفع الحركة العماليـة الى الـتلاحم مع قطاعات الشعب المتعددة للدفاع عن الحرية والاستـقلال الوطني.

ان الحركة العمالية في تونس، لم تكن بعيدة عن هذا التصور في النضـال الـوطني التونسيـ عـلى الاصعدة كافة، السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثـقافية، فقد انطلقـت منـذ البدايـة في فـترة مـا بعد الحرب العالمية الاولى لتؤكد الـتلاحم المصـيري بـين نضـالها المهنـي ونضـالها الـوطني ضـد اتحـاد العـمال الفرنسيـ والاحـتلال الفرنسيـ وسياسـته في الـبلاد التونسـية، الا أن ضـغط الادارة الفرنسـية واحتضانها لاتحاد العـمال الفرنسيـ لم يمكـن التونسـيين مـن تشـكيل الواجهـات النقابيـة المعـبرة عـن حركتهم العمالية، والمطالبة بحقوقهم المهنية والوطنية، وقـاد ذلـك الى انتهـاء الجهـود الاولى لتأسـيس التنظيم النقابي الذي بدأه محمد علي الحامي وزملاؤه .في حقبة مابين الحربين.

كانت نهاية الحرب العالمية الثانية، بداية لاشتداد ساعد الحركة العمالية التونسية فقد خرجـت فرنسا منهوكة القوى من جراء الحرب، وبدأت حركات التحرر الوطني في عموم العالم المستعمر تضغط وبشدة على القوى الاستعمارية، وبدأت الحركة الوطنية التونسية تـشدد من نضالها وكفاحها السياسي والعسكري ضد الاحتلال الفرنسي وسياسته، وعليه، فقد تصلب عود الحركة العمالية التونسية، وبدأت تبحث عن اطار تنظيمي يقودها

ويوجهها نحو تحقيق أهدافها المهنية والوطنية فكانت البداية لانبثاق الاتحاد العام التونسي للشغل عام 1946، بقيادة فرحات حشاد وزملائه.

ان الاتحاد العام التونسي للشغل وطوال عقد من الزمان (1946- 1956) لم يكن مجرد واجهة نقابية للحركة العمالية التونسية، بل المدافع عن حقوقها والعامل من أجل تحقيق اهدافها المهنية، بل كان ايضآ أحد واجهات الرأي العام، وتياراً اجتماعياً مندمجاً في أوسع التيارات السياسية والعسكرية التي كانت تقود النضال والكفاح الوطني التونسي ضد الاحتلال الفرنسي وبذلك عد الاتحاد العام التونسي للشغل نفسه أحد ركائز النضال الوطني من أجل الحرية والاستقلال، وهذا الدور الفاعل جعل الادارة الاستعمارية تنظر بعين الاهتمام الى قادة الاتحاد وتحاول تحييدهم عن الاسهام في النضال الوطني، وهذا ماحصل بالفعل فرحات حشاد.

ان الحركة العمالية التونسية، وتنظيمها النقابي، الاتحاد العام التونسي للشغل، لم يقفا عند حدود القضية الوطنية التونسية، وانما سعياً الى توحيد الجهد الوطني بالجهد الاقليمي في المغرب العربي وعبر محاولة العمل على انشاء جامعة ثقافية في المغرب العربي ككل تهتم بالحركات العمالية وتدافع عن قضية الحرية والاستقلال، وحتى وحدة المغرب العربي، فضلآ عن الجهود المتناغمة والمتلاحمة مع الجهود العمالية العربية في محاولة للدفاع عن حقوق العمال العرب وقضاياهم المصيرية.

وأخيراً يمكن القول ان الحركة العمالية التونسية، من خلال تنظيمها النقابي، الاتحاد العام التونسي للشغل، وطوال عقد (1924- 1956)، كان في انطلاقه وفكره وتنظيمه وأهدافه ممثلاً حقيقياً لقضية الشعب التونسي ونضاله الوطني ضد الاحتلال الفرنسي وسياسته في المجالات كافة، كان ممثلاً للكفاح الوطني في اقطار المغرب العربي .

الملاحق

الملاحق

ملحق (1):

نص معاهدة باردو - 1881م

((دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس لما كان من غرضها ان يمنعا الى الابد حدوث قلاقل كالتي حصلت اخيرآ على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وان يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار قد تفقا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين وبناءاً على ذلك فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عين جنب الجنرال بريار نائبآ مفوضآ من طرفه فاتفق جنابه مع سمو الباي المعظم على البنود الاتية:

البند الاول: ان معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الاخرى الان بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس وقع تأكيدها وتمديدها.

البند الثاني: لاجل تسهيل القيام بالاجراءات التي يتم على دولة الجمهورية الفرنسية اتخاذها للوصول الى الغرض الذي يقصده الجانبان العالميان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتل القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والامن بالحدود والسواحل ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان: الفرنسية والتونسية وتقرران معآ بأن الادارة المحلية قد اصبحت قادرة على المحافظة على استتباب لامن.

البند الثالث: تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كل خطر يمكن ان يهدد ذاته او عائلته او يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع:تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين الدولة التونسية ومختلف الدولة الاوربية.

البند الخامس: يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهم الجانبين.

البند السادس: يكلف الممثلون الدبلماسيون والقنصليون لفرنسة في البلاد الاجنبية بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها وفي مقابل ذلك يلتزم الباي بأن لايعقد أي عقد ذي صبغة دولية من دون اعلام الدولة الفرنسية والحصول على موافقتها مقدماً.

البند السابع:تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحق الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسية من شأنها الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة .

البند الثامن: تفرض غرامة حربية على القبائل العاصية بالحدود و السواحل وتحدد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي مسؤولة عن تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع:لاجل صيانة ممتلكت الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الاسلحة والذخائر فان دولة سمو الباي تتعهد بأن تمنع قطعاً ادخال السلاح والذخائر الحربية لجزيرة جربة ومرسي قابس والمراسي الاخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر: سيقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلم الوثيقة المصدق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في اقرب وقت ممكن)).

وقعها محمد الصادق مع الجنرال بريار في 12 مايو 1881[1].

ملحق(2):

نص معاهدة المرسى - 1883م

لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجه الى تحسين الاحوال الداخلية بالمملكة التونسية وفقآ لاحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من مايو سنة 1881 وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق اغراض سموه توثيقآ لعرى المودة بين القطرين العامرين، اتفق الطرفان على عقد اتفاق لتحقيق هذا الغرض واعتمد رئيس الجمهورية الفرنسية في ذلك مسيو بييربولس كامبون.

البند الاول: لما كان غرض سمو الباي المعظم ان يسهل للحكومة الفرنسية اتمام حمايتها تكفل بادخال الاصلاحات الادارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة المشار اليها فائدة من ادخلها .

البند الثاني: تضمن الحكومة الفرنسية قرضآ يعقده سمو الباي لتحويل و دفع الدين المجمد البالغ 125 مليون فرنك والدين لايمكن ان يتجاوز 175 مليون فرنك ولكنها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك وقد تعهد سمو الباي المعظم بأن لايعقد قرضآ في المستقبل لحساب المملكة التونسية دون اذن سابق من الحكومة الفرنسية.

البند الثالث: يخصص لسمو الباي المعظم من مداخيل المملكة:

اولآ:المبالغ اللازمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنته فرنسا.

(1) زيادة، مصدر سابق،ص231-239؛ عذرة، مصدر سابق،ص66.

ثانيآ: مخصصات لسمو الباي وقدرها مليون من الريالات التونسية أي **1.200.000** فرنك وما فضل من ذلك يعني لمصاريف ادارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع: هذه الاتفاقية مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة في 22 مايو سنة 1881فيما يحتاج منها امر تأكيد والتكميل ولاتتغير بها الانظمة التي سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربية.

البند الخامس: تعرض هذه الاتفاقية على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسليم وثيقة التصديق الى سمو الباي المعظم في اقرب وقت ممكن ايذاناً بصحة ما تقدم حررت هذه الاتفاقية وختمها الموقعان بختميها.

وقعها علي باي مع بولس كامبول في 8 يونيو 1883[1].

ملحق (3) :

صورة الامر الصادر من الحضرة المشيرية الى قاضي المالكية بتونس فيما يتعلق بترخيص رعية فرنسا في شراء العقارات والاملاك بمملكة تونس وذلك في ربيع الثاني 1288هـ/1871م

بعد الديباجة وبعد فان رعايا الدولة الفرنسية لما كان لايسوغ لهم ان يملكوا ربع العقار بمملكتنا حتى انهم اذ لزمهم ذلك يكتبون رسوم الملك الذي يشترونه باسم انفار التوانسة ظهر لنا من المصلحة تمليكهم لما كانوا اشتروه في الماضي مما ذكر فالعمل ان تنبهوا على العدول بأنه اذا اتاهم احد من رعايا ما ذكر وطلب منهم تصحيح رسم ملك المشتري

(1) زيادة، مصدر سابق،ص240-241؛ عذرة، مصدر سابق،ص84.

باسم انفار توانسة باسمه وخص التونسي المكتتب باسمه الرسم ورضي تحويله بأسم الاجنبي المـذكور فانهم لايمنعوه من ذلك ويصححونه له على الوجه الشرعي مع اعتبار ما يلزم في ذلك من كتب اعتراف المباح لهم في ذلك والسلام .

وكتب في العشرين من ربيع الثاني سنة ثمان وثمانين ومئتين وألف [1].

(1) زيادة، مصدر سابق،ص207.



\

المصادر

الملاحق

المصادر التي اعتمدتها الدراسة :

الوثائق:

1. **تقارير المؤتمر الوطني للاتحاد العام التونسي للشغل (تونس،1951).**
2. **تقرير عن الخدمات الاجتماعية العمالية في البلدان العربية، اعداد قسم الخدمات الاجتماعية والتعاونية، مكتب العمل العربي،1977.**
3. **القانون الاساسي لجامعة عموم العملة التونسية، وثائق اساسيةالوزارة الاولى، الارشيف الوطني، الجمهورية التونسية، Netwww.Archives..**
4. **المؤتمر الدولي الثالث للجامعة الدولية للنقابات الحرة 11/تموز/1953، Netwww.Archives.**
5. **بيان الاتحاد العام التونسي للشغل، الاحداث التي وقعت في شيكاغو بأمريكا 1889 والانخراط بالجامعة العالمية للنقابات الحرة، www.agtt.org،(تونس،2004).**
6. **بيان الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي اكد وحدة عمل المغاربة، المؤتمر الرابع، www.agtt.org، (تونس،2004).**
7. **بيان الاتحاد العام التونسي للشغل، بمناسبة الذكرى 58 لتأسيسه،www.agtt.org ، (تونس،2004).**

الرسائل الجامعية:

1. الجوادي، محمد عبد العزيز، أثر التحولات السياسية في البناء الاجتماعي في تونس، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية،(بغداد،1982).
2. الحمداني، كفاح عباس رمضان، وحدة المغرب العربي الفكرة والتطبيق 1958-1995، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية الاداب جامعة الموصل،(الموصل،2002).
3. الخزعلي، كفاح كاظم عكال، حزب الاستقلال ودوره السياسي في المغرب العربي1944-1956، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية الاداب جامعة البصرة، (البصرة،1983).
4. كاظم، قاسم زغير، الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد ودوره السياسي في تونس بين عامي 1922-1956، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية الاداب جامعة البصرة،(البصرة،1984).
5. المختار، نزار احمد، وحدة المغرب العربي الفكرة والتطبيق 1918-1958، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية التربية جامعة الموصل،(الموصل،1998).
6. نحلة، محمد يوسف، تطور الحركة الوطنية في تونس 1881-1956، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، (بغداد،1981).

الكتب العربية والمعربة:

1. الاتحاد العالمي للنقابات، الاستعمار الفرنسي يضطهد الحركة النقابية في الجزائر، مكتب النشر والثقافة العمالية،(الجزائر، ب.ت).
2. اسماعيل، صدقي، محمد علي القابسي مؤسس النقابات التونسية، ب.م،(دمشق،1955).
3. أمين، احمد، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة،1965).
4. أمين، سمير، المغرب العربي الحديث، ترجمة كميل قيصر داغر، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت،1981).
5. بترسون، ولاس، الدخل والعمالة والنمو الاقتصادي، ترجمة صلاح الدباغ، مراجعة برهان دجاني، (بيروت،1968).
6. براهيمي، عبد الحميد، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1996).
7. البراوي، راشد، اقتصاديات العالم العربي من الخليج الى المحيط، مكتبة النهضة المصرية،(القاهرة،1968).
8. بشوش، محمد، الوعي القومي في الاوساط الجامعية في المغرب العربي مثال تونس، من كتاب تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1986).
9. بغدادي، عبد السلام ابراهيم، الوحدة الوطنية ومشكلة الاقليات في افريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1993).

10. البنا، جمال، دور النقابات في المجتمع الاشتراكي، المطبعة العالمية،(القاهرة،1967).

11. بن حميدة، عبد السلام، النقابات والوعي القومي مثال تونس، من كتاب تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مجموعة من الباحثين، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1986).

12. بن سلامة، البشير، ثورة بن غذاهم، الدار التونسية للنشر،(تونس، ب.ت).

13. بن صالح، احمد، تونس التنمية والمجتمع والسياسة، حوار مارك نرفان، دار الكلمة للنشر (بيروت،1980).

14. بن عامر، احمد، تونس عبر التاريخ منذ اقدم العصور الى اعلان الجمهورية، مكتبة النجاح، (تونس،1960).

15. بو علي، بشير، محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، د.ن،(د.ت).

16. البوني، عفيف، وعي الهوية العربية في الفكر العربي التونسي الحديث، منشورات العالم العربي في باريس، (باريس، د.ت).

17. البيضاوي، خيرات، وميض النار في المغرب العربي، ب.م،(د.ت).

18. التلالي، صلاح الدين، تونس الجديدة مشاكل ونظريات، عربه محمد السويسي، دار بو سلامة للنشر، (تونس، 1959).

19. تشالجي، عبد الرحمن، المسألة التونسية والسياسة العثمانية(1881-1913)، ترجمة وتعليق عبد الجليل التميمي، دار الكتب الشرقية، (تونس،1973).

20. التيمومي، الهادي، الحركة الصهيونية في تونس في الفترة بين 1911و1927، منشورات اتحاد المؤرخين العرب،(دمشق، د.ت).

21. التيموري، الهادي، دور القضية الفلسطينية في تعميق الوعي القومي في المغرب العربي مثال تونس، من كتاب تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1986).

22. ثامر، الحبيب، هذه تونس، مطبعة الرسالة،(القاهرة،1948).

23. الجابري، محمد عابد واخرون، وحدة المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت،1987).

24. الجبيلي، عبد المنعم الغزالي، تاريخ الحركة العمالية والنقابية في العالم، مكتبة النهضة، (بيروت، د.ت).

25. الجزائري، عبد الحميد مسعود،، ثورات المغرب العربي وكفاحه، لجنة الدعاية للمغرب العربي، دار الجامعة للطبع والنشر،(د.ت).

26. جوليان، شارل اندري، افريقيا الشمالية، ترجمة المنجي سليم والطيب المهيري والصادق المقدم وفتحي زهير والحبيب الشطي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، (تونس،1974).

27. الجوهري، يسري عبد الرزاق، شمال افريقيا، دار الجامعات المصرية، (القاهرة،1970).

28. الحبيب، محمود محمد، ايدولوجية حركة العمل في الشرق الاوسط دراسة مقارنة مع غيرها في الدول النامية، مطبعة حداد،(البصرة، د.ت).

29. الحداد، الطاهر، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، الدار التونسية للنشر (تونس،1974).

30. الحسان، بو قنطار، السياسة الخارجية الفرنسية ازاء الوطن العربي منذ عام 1967، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت،1986).

31. حسن، رزاق ابراهيم، النقابات العمالية، دار الرشيد،(بغداد،1979).

32. حقي، ممدوح، ليبيا العربية كأنك تعيش فيها، دار النشر للجامعيين، (ليبيا،1962).

33. خالد، احمد، الطاهر الحداد والبيئة التونسية في الثلث الاول من القرن العشرين، الدار التونسية للنشر، (تونس، 1967).

34. الخفش، مذكرات حسن صالح، حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية، مركز الابحاث،(بيروت،1973).

35. داهش، محمد علي، في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دمشق،2004).

36. -------، اتجاهات العمل الوحدوي في المغرب العربي المعاصر، مركز الامارات للدراسات والبحوث الستراتيجية، (الامارات العربية المتحدة،2003).

37. الدربدي، صالح، المسيرى الكبرى، دار بو سلامة للطباعة والنشر، (تونس، د.ت).

38. رياض، زاهر، استعمار افريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة،1965).

39. الزمزمي، عبد المجيد تراب، تونس في مواجهة التضليل، دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع، (1989).

40. زيادة، نيقولا، تونس في عهد الحماية من 1881-1934، دار الرائد للطباعة، معهد الدراسات العربية، (القاهرة، 1963).

41. سارة، وليم، الاستعمار الفرنسي يضطهد الحركة النقابية في الجزائر، ترجمة وليم سارة، مقدمة عمر السباعي، الاتحاد العالمي للنقابات، مكتب النشر والثقافة العمالية، توزيع دار الفكر، (د.ت).

42. سعد الدين، ابراهيم ومحمود عبد الفضيل، انتقال العمالة العربية المشاكل والاثار السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1991).

43. سعيد، امين، الوطن العربي، دار الهلال، (د. ت).

44. السعيد، نعمة، المغرب العربي استعراض للمعالم الحضارية لاقطار المغرب العربي وتطور انظمتها السياسية ما قبل وبعد الاستقلال، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1979).

45. سلطان، علي، تاريخ العرب الحديث 1516-1918، منشورات مكتبة طرابلس العالمية، (ليبيا، د.ت).

46. السنوسي، محمد بن عثمان، خلاصة النازلة التونسية، تقديم وتحقيق محمد الصادق بيسيس، الدار التونسية للنشر، (تونس،1976).

47. شانيدر، لويس، العالم في القرن العشرين، ترجمة سعيد عبود السامرائي، مراجعة وتقديم عطا البكري، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت).

48. الشريف، البشير ابن الحاج عثمان، اضواء على تاريخ تونس الحديث 1881-1924، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، (تونس، د.ت).

49. الشريف، محمد مهدي، ما يجب ان يعرف عن تاريخ تونس، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة، سراس للنشر، (تونس، 1985).

50. الشريف، محمد الهادي، تاريخ تونس، سراس للنشر،(تونس،1993).

51. صايغ، يوسف عبد الله، اقتصادات العالم العربي التنمية منذ عام 1945، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت،1984).

52. صليبا، داؤود ومصطفى الحاج، العالم العربي، ب.م،(د.ت).

53. طوبال، ابراهيم، البديل الثوري في تونس، دار الكلمة للنشر، (بيروت،1979).

54. طوبال، ابراهيم، سقوط البورقيبية التطور التاريخي والسياسي للحركة الوطنية التونسية، سلسلة دراسات المعارضة التونسية، (د.ت).

55. طلائع الثورة العربية بتونس، المسألة الزراعية وازمة النظام في تونس، دار الطليعة، (بيروت،1970).

56. طلس، محمد اسعد، تاريخ الامة العربية عصر الانبعاث، دار الاندلس للطباعة والنشر (بيروت،1963).

57. العامري، محمد بدوي، تونس الخضراء والايدي الحمراء، نشرة يصدرها صوت الاحرار التونسيين، (د.ت).

58. العامري، محمد الهادي، تاريخ المغرب العربي، الشركة التونسية للتوزيع، (تونس، د.ت).

59. عبد الرحمن، احمد عبد الوهاب، تاريخ العرب الحديث 1798-1920دراسة في التنافس الاوربي على البلاد العربية، دار العلم، (الامارات،1987).

60. عبد الكريم، احمد عزت واخرون، العالم العربي في العصر الحديث، طبع ونشر دار سعد، (القاهرة، د.ت).

61. عبد الله، الطاهر، تاريخ الحركة النقابية في تونس، دار الطليعة،(بيروت،1974).

62. ------، الحركـة الوطنيـة التونسـية رؤيـة شـعبية قوميـة جديـدة 1830-1956، ب.م، ط1، (1976).

63. عبد الوهاب، حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، د.ت).

64. عزالدين، نجلاء، العالم العـربي، نشرـ بالاشـتراك مـع مؤسسـة فـرانكلين للطباعـة والنشرـ ودار الاحياء الكتب العربية، (القاهرة،1953).

65. العطار، حسـن، الـوطن العـربي دراسـة مركـزة لتطوراتـه السياسـية الحديثـة، مطبعـة اسـعد، (بغداد،1966).

66. العقاد، صـلاح، المغـرب العـربي الجزائـر-تـونس-المغـرب الاقصىـ طبـع ونشرـ مكتبـة الانجلـو المصرية،(القاهرة،1969).

67. عنان، محمد، البورقيبية، مطبعة فن للطباعة، (1973).

68. غرايبة، عبد الكريم محمود، تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع، (بيروت،1984).

69. الفاسي، علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، بلا،(القاهرة،1948).

70. -----، محـاضرات في المغـرب العـربي منـذ الحـرب العالميـة الاولى، مطبعـة نهضـة مصرـ (القاهرة،1955).

71. فرح، الياس، الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشرـ (بيروت،1975).

72. فروخ، عمر، وثبة المغرب، دار الكتب اللبناني للطباعة والنشر، (بيروت،1961).

73. فيشر، فيكتور، جوهر الحركة النقابية، نقلت الى العربية في المكتب التجاري، (بيروت، د.ت).

74. قدورة، زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت،1975).

75. كامبل، أي ديلبو، حركة العمال العالمية، ترجمة ج.ف، مطبعة النجاح، (بغداد، د.ت).

76. كبة، ابراهيم، ازمة الاستعمار الفرنسي، مطبعة المعارف،(بغداد،1957).

77. كرو، ابو القاسم محمود، خير الدين التونسي، ب.م،(تونس،1958).

78. لاندو، روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نيقولا زيادة، مراجعة انيس فريحة، دار الثقافة للنشر والتوزيع،(بيروت،1980).

79. لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية، دار التقدم، (موسكو،1971).

80. مالكي، أمحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، سلسلة اطروحات الدكتوراه(20)، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت،1993).

81. المحجوبي، علي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب عمر بن ضو وحليمة فرفوري وعلي المحجوبي، سراس للنشر، (تونس،1986).

82. ------، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، (تونس،1986).

83. المرزوقي، محمد، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية،(تونس،1973).

84. مزالي، محمد، مواقف، الشركة التونسية للتوزيع، (تونس،1973).

85. المطوي، عبد المجيد، تونس وفرنسا، مكتبة النجاح،(تونس،1957).

86. مؤسسة الثقافة العمالية، الحركة النقابية العربية،(بغداد،1976).

87. الهرماسي، محمد صالح، تونس والحركة العمالية في نظام التبعية والحزب الواحد 1956-1986، دار الغرابي، (بيروت،1995).

88. هلال، علي الدين واخرون، الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت،1998).

89. وادي، خيرية عبد الصاحب، الفكر القومي العربي في المغرب العربي نشوءه وتطوره من 1830 الى 1962، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1982).

90. يحيى، جلال، المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر،(1966).

المجلات العربية:

1. ابراهيم، جورجيت عطية، حركة النقابات التونسية عبر التاريخ الوطني، مجلة دراسات عربية، العدد 8، السنة 16،(بيروت،19880).

2. ابو زيد، احمد، الحركة النقابية والتحرر الافريقين مجلة السياسة الدولية، العدد 4، مطبعة الاهرام، (القاهرة،1966).

3. امام، محمد جمال، ابعاد الحركة العمالية في افريقيا، مجلة السياسة الدولية، العدد 19، مطبعة الاهرام،(القاهرة،1970).

4. ايفانوف، ولادة الحركة العمالية الوطنية التونسية 24-1925، ترجمة وتعليق حفناوي عمايرية، مجلة دراسات عربية، العدد الاول، السنة 9، (بيروت،1972).

5. البدوي، السلامي، مفهوم الامة في نضال الطبقة العاملة التونسية، مجلة دراسات عربية، العدد 6، السنة 9، (بيروت،1973).

6. بو يحيى، سالم، العلاقات النقابية المغربية ودور الطبقة العاملة في وحدة المغرب العربي 1946-1956، المجلة التاريخية المغربية، العدد 43-44، السنة 13، الشركة التونسية لفنون الرسم،(تونس،1966).

7. ----، تاريخ الحركة العمالية في تونس 1881-1939، المجلة التاريخية المغربية، العدد 15-16، السنة 6، الشركة التونسية لفنون الرسم،(تونس،1979).

8. ----، العلاقات بين عمال تونس ومصر من 1945-1958، المجلة التاريخية المغربية، العدد 53-54، السنة 16، الشركة التونسية لفنون الرسم،(تونس، 1989).

9. ----، العلاقات بين عمال تونس وفلسطين وموقف الطبقة العاملة من القضية الفلسطينية1945-1958، المجلة التاريخية المغربية، العدد 55-56، السنة 16، الشركة التونسية لفنون الرسم،(تونس،1989).

10. بن حميدة، عبد السلام، النقابات والوعي القومي :مثال تونس، مجلة المستقبل العربي، العدد 83، السنة 8، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت،1986).

11. بن سلامة، البشير، تونس والدولة الوطنية، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 32، السنة 3، دار النشر العربية، (بيروت،1981).

12. التميمي، عبد المالك خلف، بعض ملامح الحركة العمالية في المغرب العربي ودورها الوطني، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الاول، المجلد 2،(الكويت،1984).

13. الجابري، محمد عابد، تطور فكرة المغرب العربي وقائع وافاق، مجلة دراسات عربية، العدد 7، السنة 19، (بيروت،1983).

14. حسن، رزاق ابراهيم، النقابات العمالية والطوائف الحرفية، مجلة افاق عربية، العدد 9، السنة 2، مؤسسة رمزي للطباعة، (بغداد،1987).

15. الخزعلي، كفاح كاظم، الاتجاهات الوحدوية المعاصرة، مجلة المؤرخ العربي، العدد 40، السنة 14، اتحاد المؤرخين العرب، (بغداد، 1989).

16. الذوادي، محمود، التخلف الاخر في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 47، السنة الاولى، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت،1983).

17. رفعت، محمد، في افق السياسة العالمية مشكلة فرنسا في افريقية الشمالية، مجلة الكاتب المصري، العدد 8، المجلد،2، (القاهرة،1946)

18. العادلي، فاروق محمد، الرعاية الاجتماعية ومشاكلها في الوطن العربي، مجلة حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 4،(قطر، 1981).

19. عذرى، شذى، معاهدة باردو بين فرنسا وتونس 12/ايار/مايو/سنة 1881، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 101-102، دار النشر العربية، (بيروت،1987).

20. -----، معاهدة المرسى بين فرنسا وتونس 8/تموز/يوليو/1883، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 103-104، دار النشر العربية، (بيروت،1987).

21. العريف، اسماء، وحدة المغرب العربي دروس في التاريخ، مجلة المنار، العدد19، السنة 2، (باريس،1986).

22. العقاد، صلاح، الابعاد الجديدة للسياسة الخارجية التونسية، العدد 29، السنة 8، مطبعة الاهرام،(القاهرة، 1972).

23. ------، البورقيبية ومستقبل تونس، مجلة السياسة الدولية، العدد 47، السنة 8، مطبعة الاهرام،(القاهرة، 1972).

24. العماري، الصادقي، ابعاد التعريب في فكر علال الفاسي، مجلة المستقبل العربي، العدد 267، السنة 5، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،2001).

25. الفكياني، محمد، بنزرت، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 39، السنة 4، دار النشر العربية، (بيروت،1982).

26. الفلاحي، صادق جعفر، مسؤولية الحركة النقابية للعمال العرب، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 27،(بغداد،1971).

27. -------، الحركة النقابية نشأتها وطبيعتها مهماتها، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 46،(بغداد،1973).

28. كروم، حسين، مؤسس الحركة النقابية في تونس، مجلة قضايا عربية، العدد 5، السنة 9، (بيروت،1981).

29. -------، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، مجلة قضايا عربية، العدد2، السنة 5، (بيروت،1987).

30. كريم، مصطفى وكرمال صموت، الحركة الوطنية والحركة العمالية في الوسط الاستعماري مثال تونس، المجلة التاريخية المغربية، العدد 13-14، الشركة التونسية لفنون الرسم، (تونس،1979).

31. المجلة التاريخية المغربية، العدد 43-44، الشركة التونسية لفنون الرسم، (تونس،1979).

32. مزالي، محمد، تاريخ تونس الحديث، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد41، السنة 4، دار النشر العربية، (بيروت،1982).

33. معوض، نازلي واحمد يوسف، ندوة وحدة المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، العـدد 107، السنة الاولى، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1988).

34. الميلي، محمد، الجزائر والمشألة الثـقافية التناقضات والجذور، مجلة المستقبل العـربي، العـدد 45، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت،1982).

35. منصور، محمد، تأثير الحركة الوطنية على تطور التشريع التونسي، مجلة المؤرخ العـربي، العـدد الاول،(بغداد، 1975).

36. الناصر، خالد، ازمة الديمقراطية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العـدد 55، السـنة 6، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1983).

الانترنيت:

1. ابـو زكريـا، يحيـى، الحركـة الاسـلامية في تـونس مـن الثعـالبي الى الغنـوشي، www.Ikhwan.net،(تونس،2004).

2. الاتحاد الدولي للنقابات الحرة في بلدان الشرق الاوسط وشمال افريقيا،www.Iftu.org ،2003.

3. اتحادالمغرب العربي، المهرجان الشعبي لاحياء الذكرى الذهبية لاحداث 7و8 جنبر 1952بالـدار البيضاء للتضامن مع الشعب التونسي اثـر اغتيـال فرحـات حشـاد، كلمـة السـيد الحبيـب بـو لعراس امين عام اتحاد المغرب العربي،www.maghrebarabe.org ، (الرباط،2002).

4. جراد، عبد السلام، الامين العام للاتحاد العام التونسي للشـغل، خطابـه امـام القـادة النقـابيين الامريكيين،www.agtt.org ، (نيويورك،2003).

5. الجورشي، صلاح الدين، بورقيبة عندما يصدق نفسه، اسلام اون لاين،www.islam-on line.net ، 2005.

6. حشـاد، فرحـات، الابعـاد الدوليـة في كفـاح الطبقـة العماليـة، سـاحة الاصـدقاء والهوايـات، www.friends. alsaha. com.

7. -----، الحركة العمالية والنضال الوطني المبادى والابعـاد، مؤسسـة التميمـي للبحـث العلمـي والمعلومات، www.temimi. org، 2000.

8. الحمامـي، عبـد الـرزاق، المـرأة في مشرـوع الحداثـة التونسيـ مجلـة افكـار، العـدد 21، www.333com.، (تونس،2003).

9. رد الاستاذ نجيب الشابي على رسالة الدكتور شكري الحمـروني المفتوحـة، www.tunezine.com، 2004.

10. الزمزمـــي، محمـــد الهـــادي، الحـــرب عـــلى جـــامع الزيتونـــة في الحقبـــة العلمانيـــة، www.ezzitouna.org،(تونس، 2004).

11. شبكة حسن نت، الحبيب بورقيبة، www.alqanat.com،(تونس،2004).

12. شهادة احمد بن صالح السياسية، اضاءات حـول نضـاله الـوطني والـدولي، السلسـلة الحاديـة عشرة، شهادات شـفوية رقـم 1، منشـورات مؤسسـة التميمـي للبحـث العلمـي والمعلومـات، www.temimi. org (تونس،2002).

13. العالم الاسلامي من اقليم المسلمين تونس، دائـرة المعـارف الاسـلامية الشـيعية، شـبكة الامـام الرضا عليه السلام، www.imamreza.net .

14. العقبي، خالد، فرحات حشاد الزعيم النقابي العربي التونسي، www.alfikralarabi.com .

15. الكثيري، مصطفى، احداث 1952 بالدار البيضاء ملحمة تاريخية تأكد تشبث المغاربة بوحـدة المغرب العربي الكبير، مجلة منارة المجتمع، العدد 24،www.Arabe .menara.com .

16. مارتي، خوسيه، الشعوب العربية في حديقة خوسيه مارتي الاجتياح الفرنسي على تـونس،1881، www.embacubasiria.com،(تونس،2004).

17. مجلة البديل الشيوعي، العدد 14، www.albadil.org،(تونس،2003)

18. 21.مرزوق، محسن، الحركات الاجتماعية في تونس، جمعية نادي محمد علي للثقافة العمالية، www.aqlamonline.com،(تونس،2003)

19. 22.المسعدي، محمود، مجلة ديوان العرب، www.diwan alArab.com، (تونس،2004).

20. مقـــال فرحـــات حشـــاد في جريـــدة 1952 Inter national news، www.Archives. Net،(تونس،2003)

المصادر الاجنبية:

1. Annales de la chambre des deputeś, De'bats parlementaires session .

2. Allen G.B.Fisher ,(The Economic implications of Material progress), international, Labour Review, July, 1935.

3. D.S. watson, Price Theory and its Use, seconad Edition Houghton Mifflin company ,Boston, 1968.

4. Encyclopedie du Monde Actuel "les Arabes" Paris, 1975.

5. Walter Nicholson, intermediate Microeconomics and its Application, The Dryden press, III inois, 1975.

6. John Maynard Keynes, The General theory of Employment, interest and money Harcourt, Brace, New York, 1936.

7. Kraiem Mustapha ," ála GTTet le Mouvement syndical maghrebin avant Lássassinat de Farhat Hached " , revue de Histoire Maghrebine 7ème anneé (17-18) janvier, Tunis, 1980.

8. Moncer Roanissi, population et societé on loghsch ceae Monlution Tunis, 1977.

9. Raymond(A),La Tunisie- Que sais-je,? presses universitaires de France ,1961.

10. Hached, Láfrigue du Nord et almenique, la tribure des peuples no. (mars- avril 1953).

Abstract

The study of The Labour Movement in any Arab Conntry is historically, socially ,economically and Vocationally important. From the Vocational and unionist points of view, it reveals the dimensions of economic, social and political situation. Studying this movement in Tunisia is, therefore, an attempt to shed light on this socio-economic aspect and its instrumental role in revealing the economic ,social ,political and unionist conditions.

The demand of workers for their vocational and unionist rights led to the presentation of the national economic situation and the ensuing of political and social dimensions . The political situation created by the French occupation of Tunisia resulted in an economic, social and cultural condition conforming with the nature of that occupation with its unconstrained desire to seize and exploit every thing for the interest of French colonization since the beginning of occupation in 1881 till the independence of Tunisia in 1956. The national reaction comes through the national movement and its leadership

represented by the new and old free constitutional party after World War I.

After World War II ,the Labour party joined the National Tunisian Effort to fight the invaders So , defence of the vocational and unionist rights went hand in hand with the defence of the overall rational rights of freedom and independence. The Labour Movement and its union , the General Tunisian Union for Labour, formed a social trend with national , political ,economic and cultural dimensions that played a major role in the Tunisian national struggle for freedom and independence, which extended to include Maghrib, Arab and countries in many parts of the world.

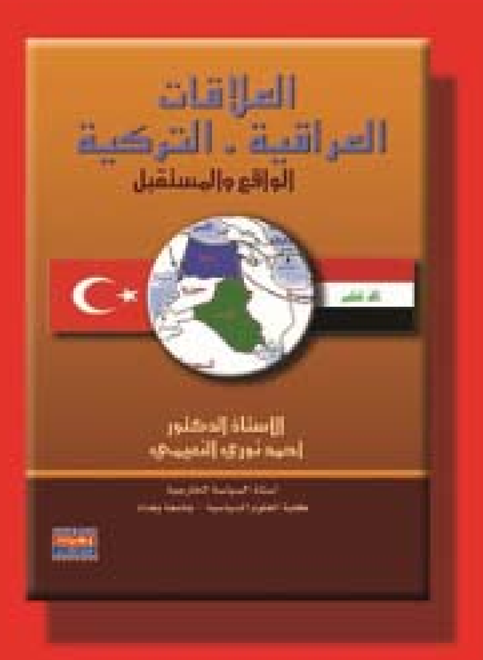
This thesis falls into four chapters. Chapter One deals with the French occupation of Tunisia and its policy and provides a detailed account of this occupation as well as the French policy at the administrative and economic level as well as the fields of immigration, and the seizing of properties by the French. It sheds light on the French colonial policy and the injustice it did for the Tunisian people which included, among other things, stripping the nation of its Arab- Islamic identity.

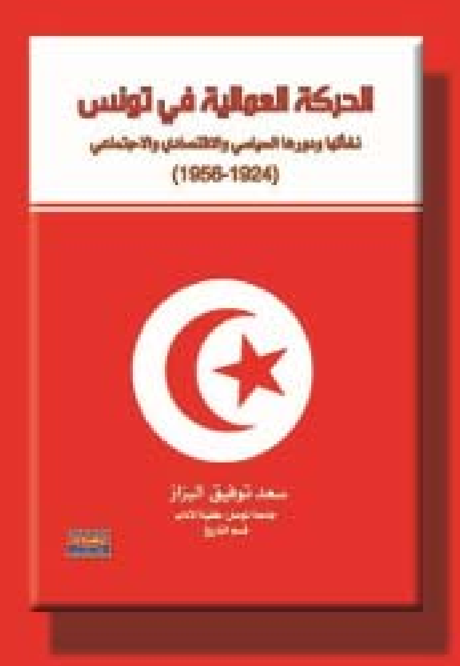
Chapter Two studies the emergence and development of the a Tunisian Labour Movement and the attempts to establish aspecial union for Tunisian workers other than that affiliated to the French policy by many Tunisian national personalities in order to defend the workers rights.

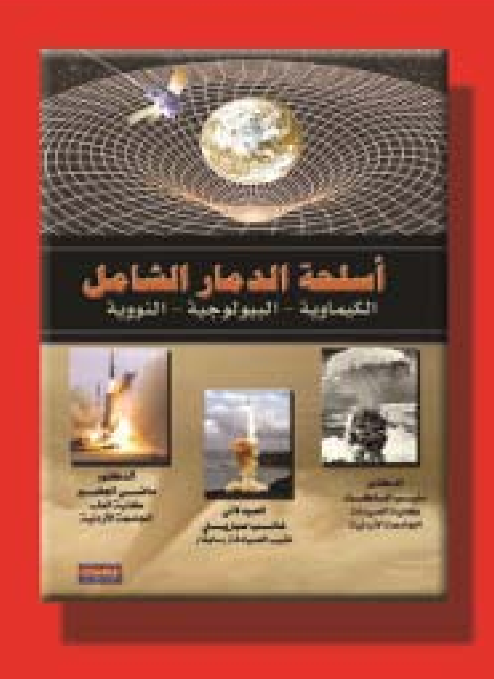
Chapter Three deals with the foundation of the General Tunisian Labour Union (1946-1956) as for as its organizational framework and its national , economic and social roles are concerned .It includes a detailed account of these as well as the unions attempts to defend the workers ,rights and seek the best ways to improve their conditious.

Chapter Four studies the activities of the Gereral Tunisian Labour Union (1946- 1956) at the Maghribi, Arab and international levels. This Union backed up the labourers struggle in Algeria and Morocco taking as a standpoint the joint workers struggle against French colonialism and the unified Arab and international Labour action in defending the national labour rights.

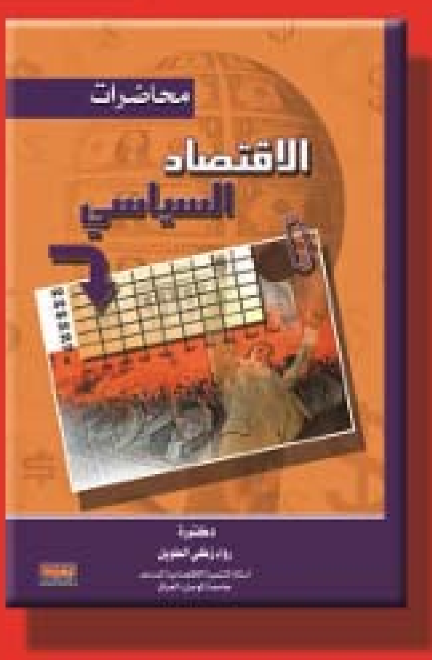
The General Union for Labour, during 1946- 1956, was not only a side that reflects the Labour Movement in Tunisia , but a movement that de fends the rights of the workers and a social current which leads the national Tunisian struggle against the French occupation. It is also considered one of the national bases that seeks for liberty and independence .in addition to that the General Union for Labour and the Labour Movement in Tunisia try to estabish a cultural university for defending not only the workers in Maghrib ,but all the workers in the arab countries.













الملخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي
دار زهران للنشر والتوزيع
تلفاكس ، 0096265331289 ص.ب. ، 1170 عمان -الرمز البريدي ، 11941 الأردن
Email: zahran.publishers@gmail.com www.darzahran.net